الشيخ ابراهيم الاميني

دروس من الاسلام

لكل شاب وفتاة



دار الهادي



دروس من الاسلام

لكــل شــاب وفتــاة


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة
١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ ـ ٠٣/٨٩٦٣٢٩ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة

تُرىٰ هل أن لهذا العالم إلهاً وخالقاً، أم أنه قد وجد بنفسه من دون علّة؟ وإن كان هناك إلهٌ، فما هي صفاته وأفعاله؟ هل أن الله ـ تعالىٰ ـ قد اختصنا بوظيفة معينة، أم أنه ليس على عواتقنا أية مسؤولية؟ تُرى هل أن الأنبياء كانوا صادقين في دعواتهم أم أنهم كانوا كاذبين؟ وهل يوجد بعد هذا العالم، عالم آخر ينال الإنسان فيه جزاء أعماله، أم لا؟

إن عقل الإنسان ـ بحسب فطرته وخلقته المتميزة ـ يريد أن يكتشف هذه الحقائق ويزيل الستار عن أسرارها، ويقدّم جواباً صحيحاً للأسئلة المذكورة ولمئات من أمثالها. ذلك لأن العقل يجد في نفسه هذه القابلية التي يتمكن بواسطتها أن يميّز الحق عن الباطل والصواب عن الخطأ، من بين العقائد. ويعمل على معرفة حقائق الأشياء وعللها بالفطرة، ولا يهدأ إلاّ عندما يستند إلىٰ نقطة ثابتة. إن هذا البحث من الموضوعات الأساسية، يسمىٰ أصول الدين.

إن أصول الدين من المسائل والأمور التي ترتبط بفكر وروح الإنسان، وتدخل فيها الأدلة والبراهين العقلية، وتنبع منها أفعال وحركات ونظام حياة الإنسان.

ولا يجوز التقليد في أصول الدين، بل يجب على كل مكلف أن

يحصل عليها عن طريق الدليل والبرهان.

فإذا ما بنىٰ الإنسان عقائده على أسس ثابتة وقويّة، ونظم حياته طبقاً لها، فإنه سيكون هادىء البال والخاطر، بعيداً عن الاضطراب والحيرة والضياع النفسي. ويمكنه أن يعيش حياته مطمئناً.

الطفل والفتىٰ:

إن أنسب ظرف للتربية، هو مرحلة الطفولة والشباب. حيث أن صفحة ذهن وروح الطفل والشاب، غير الملوثة هي كفيلم التصوير الذي لم يتعرض لأشعة الضوء، مهيّأ لأن يستقبل كل شيء.

فلو أن هؤلاء الأشخاص البسطاء، تربوا بشكل صحيح، وقدّمت إليهم الأفكار والعقائد الصائبة بالدليل والبرهان، لانتقت في نفوسهم الشفافة ولاختمرت في ذواتهم. إن مثل هؤلاء الأشخاص لا يمكن أن ينحرفوا أو يضلّوا عن الطريق في أي محيط كانوا أو أيّ شخص عاشروا. إن عاشوا في مجتمع سيّىء لا يكونون مثله، بل يعملون على أن يجعلوه مثلهم.

للأسف إن هذه الطبقة الكبيرة من المجتمع ـ محرومة من التربية الدينيّة الصحيحة، ولم تنل اهتماماً كافياً. إنهم يأخذون في الغالب الأعم معتقداتهم الدينية من الآباء والأمهات، دون برهان أو دليل. ولذا فإن إيمانهم لا يقوم على أساس ثابت وقوي. وهم يتصورون بعض الموضوعات الخاطئة التي لا أساس لها، يتصورونها من الحقائق الدينية المفروغ عن صحتها.

إنهم يدخلون ـ وهم يحملون هذه الأفكار والمعتقدات البدائية وغير المنطقية ـ إلى الصفوف الدراسية الإبتدائية والإعدادية، حتى ورودهم المحيط الجامعي وتعرّفهم على الأفكار المختلفة. ولأن إيمانهم لا يقوم على أساس قوي، تراهم يضطربون ويصابون بالحيرة لمجرد أن يواجهوا أدنىٰ شبهة أو إشكال.

ولأنهم لم يصلوا من الناحية الفكرية والثقافية إلى المستوى الذي

يؤهلهم لأن يميزوا بين الحق والباطل، ويفرقوا بين الصالح والطالح، فإنهم يسيئون الظن بالدين ويقعون فريسة للضياع والتخبط. وعندئذٍ ـ إما أن يعرضوا عن الدين كلياً، أو تهتز أخلاقهم وسلوكهم ويصبحون غير مبالين بشيء.

ويشهد الجميع بأم عينه، نتائج هذه التربية الخاطئة، وهذا التماهل. ولا من أن يفكر بحلّ من أجل انتشال هؤلاء الأبرياء من هاوية الانحراف والسقوط.

المسؤولية الجماعية:

إن جميع أبناء الشعب مسؤولون أمام هذا الخطر الكبير الذي يتهدد جيل المستقبل من سوء الظن وضعف العقيدة.

المتصدون الدينيون، العلماء، الآباء، الأمهات، التربويون والمعلمون، الخطباء، والكتّاب والأثرياء، الكل مسؤولون... أجل نحن مسؤولون جميعاً، وإن لم نقم بما ينبغي علينا أن نقوم به، فإن لعنات الأجيال القادمة ستلاحقنا، وسنواجه حساباً عسيراً في القيامة.

يجب إعداد خطة مدروسة وتنظيم برنامج متكامل. وتقديم الأفكار الصائبة إلى الناشئة والشباب مدعومة بالمنطق وبالدليل، ويجب محاربة المعتقدات الخاطئة والخرافات...

ويجب تأليف الكتب العلمية الميسّرة لهم. وتأسيس المكتبات، وتقديم الكتب بالمجان لهم أو بأسعار رمزية على أقل تقدير، لترغيبهم في المطالعة.

هذا الكتاب:

لقد أعد هذا الكتاب لجيل الشباب ولطلبة العلوم الدينية المبتدئين، وقد روعي في تأليفه النكات التالية:

١ ـ استندت المواضيع الواردة في الكتاب على الدليل والبرهان مع التبسيط. وفي خصوص المسائل العقلية، فقد أقيمت عليها أدلة عقلية، أما المسائل التعبدية والشرعية، فقد كتبتُ طبقاً للآيات والأحاديث وقد أشرنا عند الضرورة إلى المصدر في الهامش، إلاّ أننا مراعاة للإختصار، امتنعنا عن ذكر المصدر في بعض الموارد.

٢ ـ هناك اختلاف في تاريخ ولادة ووفاة الرسول الأكرم (ص) والأئمة الطاهرين (ع)، وقد اخترنا أحد الأقوال للإختصار، وأحجمنا عن ذكر البقية.

٣ ـ لقد بذل كاتب السطور جهده لكي يخرج مواضيع الكتاب العلمية بشكل مبسط، لتكون قابلة للفهم من قبل الجميع.

٤ ـ امتنعنا عن ذكر المسائل المشكوك فيها والضعيفة وذات الفائدة القليلة.

٥ ـ جاء في الكتاب مسائل، يجب على كل مسلم معرفتها، وهي تعرّف دين الإسلام بشكل مختصر، من أجل إعداد ذهنية القراء وتمكينهم من مراجعة:

الكتب والرسائل العلمية الأكثر تفصيلاً. خصوصاً فيما يتعلق بفروع الدين، إذ أننا لم نأتِ عليها جميعها، وكتبناها باختصار شديد.

تنقسم مواضيع الكتاب إلى ثلاثة فصول:

الأول: العقائد، أي المسائل والأمور التي ترتبط بفكر وعقل الإنسان وتدخل فيها الأدلة والبراهين العقلية، ولا يجوز فيها التقليد.

الثاني: الأخلاق، أي المسائل التي ترتبط بنفسية وعواطف الإنسان، وتسيطر على رغائبه وميوله النفسانية، وتضعها في الصراط المستقيم.

الثالث: فروع الدين، أي الواجبات والوظائف العملية التي تتعلق بجسم الإنسان، والتي يجب عليه تنفيذها والالتزام بها سلوكياً.

في الختام نرجو من القراء والمفكرين الكرام أن يرفدونا بملاحظاتهم وآرائهم بشأن محتويات الكتاب، ليتسنىٰ لنا الاستفادة منها في الطبعة القادمة.

قم - إبراهيم الأميني

* * *



الفصل الاول

معرفة الله

طلب العلم:

إن الإسلام دين العلم والمعرفة. وهو يدعو المسلمين إلى بذل الجهد والجد في طلب العلم، ويقيم الإنسان على أساس العلم، ويُعد طلبه واجباً عاماً على المسلمين جميعاً.

قال الله ـ تعالىٰ ـ في كتابه الحكيم: **﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾**[1] . **﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾**[2] .

وعن الرسول (ص): « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »[3] وعنه كذلك (ص): « أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه، وأكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقلّ الناس قيمة أقلّهم علماً »[4] .

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٣) بحار الأنوار، ج ١، ص ١٧٧.

(٤) البحار، ج ١، ص ١٦٤.

عن علي (ع): «لا كنز أنفع من العلم»[١].

عن الصادق (ع): «لست أحب أن أرىٰ الشاب منكم إلا غادياً في حالتين: إما عالماً أو متعلماً فإن لم يفعل فرّط، فإن فرّط ضيّع، فإن ضيّع أثم، وإن أثم سكن النار»[٢].

وعن الباقر عليه السلام[٣]: «ما من عبد يغدو في طلب العلم ويروح إلاّ خاض الرحمة خوضاً».

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): يا أبا ذرّ الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من قيام ألف ليلة يصلي في كل ليلة ألف ركعة[٤].

معرفة الله:

إن للعالم إلهاً خالقاً ومدبراً: لا يوجد هناك شيء قد وجد بنفسه ومن دون علّة. فمثلاً: لو رأينا بناية جديدة أيقنّا بأنها قد بُنِيت نتيجة لعمل وكد المهندس والبنّاء والعاملين. ولا نحتمل قط أن تكون قد أوجدت بنفسها ومن دون علّة. ولو تركنا على طاولة التحرير قلماً وورقة بيضاء، وخرجنا من الغرفة، ورأينا بعد عودتنا، أنه قد كتبتْ على الورقة بعض الجمل ندرك أن شخصاً ما قد ذهب إلى الطاولة في غيابنا، وكتب تلك الخطوط على الورقة بالقلم. ولو أن شخصاً قال: لقد تحرك القلم وحده ورسم تلك الخطوط، فسنضحك من كلامه ونعدّه غير معقول. ولو رأينا لوحة ما، تجذب بزخارفها ورسومها ومناظرها الجميلة والجذابة، أنظار المشاهدين وتنال استحسانهم، فسنقول: ما من شك أنه قد صنعها فنانٌ ماهر بحيث حوّل بذكائه وفنه وقدرته

---

(١) البحار، ج ١، ص ١٦٥.
(٢) البحار، ج ١، ص ١٧٠.
(٣) البحار، ج ١، ص ١٧٤.
(٤) البحار، ج ١، ص ٢٠٣.

الفائقة، شيئاً عديم الفائدة إلى أثر ثمين وقيّم.

لو كنا جالسين في سيارة معيّنة بصحبة جمع من الأصدقاء، ومنشغلين بتجاذب أطراف الحديث، والسيارة تسير بسرعة باتجاه المقصد، وفجأة تتعطل الماكنة عن العلم وتتوقف السيارة عن السير. فسيفهم السائق ـ في هذه الحالة ـ على الفور أنه ما كانت الماكنة لتتعطل دون سبب، وأن ذلك يعني أن هناك علّة لعطل السيارة. ولا يشك أحداً من الركاب أيضاً في هذه المسألة.

ومن هنا، يسارع السائق إلى تفحص السيارة من أجل العثور على سبب العطل ليقوم بإصلاحه. ولا يقول أبداً. لأصبر ساعة عسىٰ أن تصلح السيارة وحدها وتشتغل ثانية.

ولو أن ساعتك توقفت، فلا تشك في أن وراء توقفها سبباً. فكما لم تكن حركة عقاربها دون سبب، فكذلك توقفها لم يكن من دون سبب.

إنك تعلم أنه لا يمكن أن يوجد شيء من دون علّة وموجد، وأن التطلّع إلى معرفة علل الأشياء، خصلة مرتكزة في النفس الإنسانية.

والآن أسأل منك: أتحتمل أن يكون هذا العالم الواسع بلا خالق وصانع، ويكون قد وجد وحده هكذا؟ كلا، لا يمكن أن يكون الأمر كذلك أبداً. فهذا العالم الواسع، وهذه الأراضي والبحار الواسعة، وهذه النجوم والشموس العظيمة جميعها، وكل هذه الحيوانات العجيبة والأشجار والنباتات المختلفة الجميلة، وأخيراً هذا العالم الرحب العظيم لا يمكن أن يكون بلا صانع وخالق.

نظام وترتيب العالم:

إذا ما رأينا بناية ما وقد شيّدت بدقة وانتظام، وأنّ بين أجزائها ترابط وتناسق كاملين. وقد اتخذتْ عند بنائها كافة الإحتياطات بنظر الاعتبار، ولم يكن فيها نقص أو عيب، وكانت تحتوي ماء وكهرباء، وقاعة طعام وغرف نوم واستقبال، وحمام وساحبة هواء وتدفئة، وتمّ مدّ أنابيب المياه إليها بدقة

عالية، ونصبت في الأماكن المناسبة منها حنفيات ومغاسل. ورُوعيت فيها الأصول الصحية، ويدخل إليها ضوء الشمس بشكل كافٍ فسيحكم عقلنا بأن هذه البناية المنتظمة لم توجد هكذا بنفسها، بل لا بد من أن يكون هناك صانعاً خبيراً ماهراً، قد بناها ونظّمها بدقة عالية طبقاً لخريطة مرسومة.

بعد ذكر هذا المثال، أَلفتْ انتباهك إلى أحد جوانب حياتنا اليومية: فمن أجل أن يظل الإنسان حياً، فإن يحتاج إلى طعام وشراب ليدفع عن نفسه الجوع والعطش، ويوفر لخلايا جسمه حاجاتها الضرورية.

ولكي تظل أنسجة وخلايا أجسامنا حية، ونواصل الحياة، فلا بد من أن نوفر لها أطعمة مختلفة، ومواد كثيرة. حيث أن افتقادنا أو افتقارنا لأية واحدة منها سيُخل بحياتنا.

الإنسان بحاجة إلى الهواء ليتنفسه، وليجذب بهذه الطريقة العناصر المفيدة في الهواء ويدفع السموم خارجاً.

والآن ـ لاحظ كيف أن جميع حاجات وضروريات أجسامنا موجودة في الخارج. إن أردنا غذاءً، وجدناه في الخارج، وإن أردنا أطعمة متنوعة، وجدناها في الخارج. وإذا كان القمح والرز، والخضار والفواكه، واللحوم وسائر الأشياء، ضرورية لحياتنا، فهي موجودة في الخارج. وإذا كنا نحتاج ماءً وهواءً، فهما موجودان. لدينا أرجل لنسعىٰ بها في سبيل الحصول على الطعام، ولدينا أعين نحصل بواسطتها على الأطعمة المناسبة، ولدينا أيد نتناول بها الطعام، وقد صممت بالشكل الذي يمكنها من تأمين حاجاتنا، وهي رهن إشارتنا، نحركها كيف ما نشاء. فهي تنبسط وتنقبض، وتصعد وتهبط بإرادتنا نحن.

إن التصميم الدقيق والظريف لأصابع اليد والكف، يثير العجب الكبير. نتناول الطعام بأيدينا ونضعه في أفواهنا. وقد صممت الشفتين بالشكل الذي يمكنهما إغلاق فتحة الفم والحؤول دون خروج اللقمة منه.

إلّا أن المشكلة الأساسية تكمن في أن خلايا الجسم لا يمكنها

الإستزادة من الأطعمة بصورتها الأولية من دون حصول تغييرات وتفاعلات دقيقة فيها، بالرغم من وجود كل ما يحتاجه البدن من عناصر غذائية في الأطعمة المختلفة.

ويهضم جهاز البدن الطعام على أربع مراحل، نذكرها هنا بشكل مختصر:

المرحلة الأولى: نمضغ اللقمة بواسطة الأسنان ونفتها. ويتناسب نوع الأسنان التي وهبت إلينا مع ما نتناوله من طعام تماماً. يتحرك اللسان في الفم ويدفع اللقمة تحت الأسنان كي تتفتت جيداً. وإضافة إلى ذلك، فإنه يقوم بتفتيش الطعام وضبطه كشرطي الجمارك الماهر، ويعزل الجيد عن السيّء والحسن عن الفاسد. ويترشح من الغدد اللعابية في الفم، سائلٍ خاص يساعد على ترطيب اللقمة ونزولها بسهولة.

كما يساعد السائل الموجود في الفم، على هضم الطعام، وله تأثيرات كيمياوية كبيرة.

المرحلة الثانية: بعد أن نمضغ اللقمة جيداً، تنزل من الفم إلى الحلق ومن ثم تصل المعدة عن طريق المريء. ويسد اللسان الصغير ـ عند نزول اللقمة ـ ثقب الأنف، ويقطع سبيل التنفس، لئلا تدخل اللقمة في ثقب الأنف عند مرورها فيختنق الإنسان.

المرحلة الثالثة: يجب أن يظل الطعام باقياً في المعدة لمدة معينة لكي يهضم جيداً. ويوجد في جدار المعدة آلاف الغدد الصغيرة التي يترشح منها سائل خاص، يسهّلُ عملية هضم الطعام وتحويله إلى سائل.

المرحلة الرابعة: يدخل الطعام في الأمعاء الدقيقة، وتترشح عليه مادة سائلة، من كيس الصفراء وغدة كبيرة تدعى لوز المعدة، هي لازمة وضرورية في عملية الهضم. ويوجد أيضاً، آلاف الغدد في الجدار المعوي، وهي مفيدة أيضاً في عملية الهضم.

ويتحول الطعام إلى سائل رقيق، في الأمعاء. وعندها يمتص الجدار المعوي العناصر المغذية، ويقوم الدم بتوزيعها علىٰ أنحاء الجسم. ويوصل القلب بضرباته المنتظمة العناصر المغذية إلى الجسم مع الدم، وتحصل بهذه الطريقة ـ كل خلية من خلايا الإنسان الحياتية على غذائها المناسب.

فلو أننا دققنا النظر في بنائنا الذاتي، وأمعنا في الأشياء الدقيقة المستخدمة في خلقه أعضاء بدننا، ودققنا في الانتظام والترتيب العجيب، وفي العلاقة العميقة الموجودة بين أعضاء بدننا وبين سائر الأشياء الموجودة في العالم، فلسوف يتضح لنا جيداً أن الإنسان وسائر الموجودات، لم توجد بنفسها، بل هناك خالق قد أوجدها بعلمه وحكمته وأخذ بنظر الاعتبار كافة احتياجاتها. فأية قوة تستطيع أن توجد هكذا نظام وتناسق عجيب بين موجودات العالم سوى القوة اللامتناهية للخالق الحكيم العالم؟!

تُرىٰ هل أن الطبيعة التي لا تملك شعوراً، هي التي خلقت يد الإنسان بمثل هذا التناسب والدقة؟! وهل هي الطبيعة التي خلقت الغدد اللعابية التي تحتفظ برطوبة الفم باستمرار؟ تُرىٰ هل أن اللسان الصغير وحجاب الحنجرة الحائل مع كل ما لهما من دور مهم، قد أوجدا هكذا وحدهما؟! أو ليس لكل تلك الغدد الموجودة في جدار المعدة، إله وخالق حكيم؟

أيّة قوة تُصدّر الأوامر إلى لوز المعدة وكيس الصفراء لأن تُرشّحا سائلاً على الطعام بالقدر اللازم؟! تُرى هل أن ذينك العضوين المهمين يعرفان قيمة وجودهما؟!

ومن يدفع القلب لأن يشتغل ليل مع نهار دون توقف ويؤدي وظيفته، ويوصل العناصر الغذائية إلى أنحاء البدن؟!

أجل لا يمكن لأحد سوىٰ الله الخالق المقتدر الحكيم أن يوجد نظاماً دقيقاً كهذا بين موجودات العالم وأن يدير جهاز الخلقة العظيم.

مرحلة الطفولة:

لنأخذ الآن ـ جانباً آخر من حياتنا: عندما جئنا إلىٰ الدنيا كنا موجودات

عديمة القدرة، لم نكن لنستطيع أن نمشي لنحصل على الطعام، ولم تقوّ أيدينا على تناول الطعام، ولم نكن لنملك أسناناً كي نمضغ بها الأكل، ولم تكن معدتنا لتحتمل هضم الأكل، ولم يكن هناك ما هو أنسب من الحليب غذاءً لنا في مرحلة الطفولة. وعند مجيئنا إلى الدنيا أُوجِدَ حليب سهل الهضم في ثدي أُمنا.

وقد امتلأ قلبها عاطفة ورحمة تجاهنا، لكي ترعانا ليلاً ونهاراً، وتتحمل أنواع الصعاب من أجلنا.

وما إن نكبر قليلاً وتصبح أيدينا وأرجلنا وأعيننا وآذاننا وأمعاؤنا، أكثر اقتداراً ونحتاج إلى طعام أكثر دسومة، حتى تنبت في أفواهنا شيئاً فشيئاً أسنان نستطيع بها أن نتناول أطعمة أخرى.

أحكم بنفسك:

تُرى من الذي حبانا بكل هذه الأشياء، وهيّأ لنا عند الطفولة والضعف، كل ما نحتاج إليه؟! تُرى من الذي خلق عالم الوجود الواسع هذا، وكل هذه النجوم العظيمة والشموس الساطعة؟!

تُرى من الذي خلق هذا العالم الكبير وأداره بنظام وترتيب دقيقين؟! من الذي جعل الأرض والقمر بنظام وحساب دقيقين؟!

بإدارة من وجد الليل والنهار، والربيع والصيف، والخريف والشتاء بهذا الشكل المنتظم؟ من الذي خلق أعيننا وآذاننا وألسنتنا وقلوبنا وكلياتنا وأكبادنا وأمعاءنا ورئاتِنا وأيدينا وأرجلنا وأدمغتنا وأعصابنا وسائر أعضاء بدننا بهذه الدقة والمهارة؟!

تُرى أيمكن أن تكون الطبيعة ـ العديمة الشعور والإرادة علّةَ وجود أجهزة وأعضاء بدن الإنسان والحيوان العجيبة، مع أن كل واحد من

الأعضاء، كالعين ـ مثلاً ـ من الدقة والتعقيد بنحو لا يتمكن العلماء من الإحاطة بكل دقائقها بالرغم ممّا بُذل من تفحص ودقة كبيرين؟!

كلا، لا يمكن هذا الأمر أبداً، بل هناك إله رحيم قد خلق كل شيء وأدار عالم الوجود الواسع.

إنه هو الذي كان موجوداً منذ الأزل ويبقىٰ موجوداً إلى الأبد، ويهبُ الآخرين الوجود.

إن الله ـ تعالىٰ ـ يحبّ عباده وقد خلق لهم كافة النِعَم. ونحن نحب الله الرحيم الرؤوف ونخضع له ونطيع أوامره، ولا نرىٰ سوى الله جديراً بالطاعة والعبادة، ولا نعبد إلاّ إياه.

الممكن يحتاج إلىٰ علّة:

عندما ندقق في أيّ من موجودات عالم الخلقة، ونمحص النظر في كيفية وجوده، ندرك بالبداهة أنه لا يملك وجوداً من نفسه، وليس الوجود عين ذاته. وهو خالٍ في الذات من الوجود والعدم. وممكنٌ بالنسبة لكل من الوجود والعدم. ومثل هذا الموجود يقال له: ممكن.

فلو أخذنا الماء مثلاً، فسندرك بالبداهة أن الماء حقيقة غير الوجود وغير العدم، فهو لا يقتضي الوجود بذاته ولا يقتضي العدم، بل إنه لا اقتضاء له بالنسبة لكل واحد منهما. فبإمكانه أن يقبل الوجود وبإمكانه أن يقبل العدم أيضاً.

إن جميع الحوادث والموجودات في العالم، هي كالماء، خالية الذات من الوجود والعدم. وهنا يقول العقل: بما أن حوادث وموجودات العالم ليست موجودة بالذات، لذا فإنها إن أرادت أن توجد، فلا بد لها ممّن يرفع حاجتها ونقصها الذاتي ويهبها الوجود.

إن الموجودات فقيرة ومحتاجة في ذاتها، وما لم يُرفع فقرها وتكسىٰ

بلباس الوجود فلن توجد.

إن جميع موجودات العالم ناقصة بالذات وممكنة وليست مستقلة وموجودة بذاتها، فيجب أن تنتهي إلى الوجود الكامل والمستقل وغير المحتاج الذي يكون الوجود عين ذاته ولا يمكن العدم بالنسبة له.

ومثل هذا الوجود الكامل هو واجب الوجود وإله العالم.

إن الله ـ تعالىٰ ـ هو عين الوجود. ولا يمكن تصوّر العدم بالنسبة إليه. إنه ـ تعالىٰ ـ قائم بذاته وسائر الموجودات الأخرىٰ محتاجة إليه وتابعة له وتستمد وجودها منه تعالىٰ.

* * *

صفات الله

تقسم صفات الله ـ تعالىٰ ـ بشكل عام إلى قسمين: صفات ثبوتية وصفات سلبية. أو صفات الجمال وصفات الجلال.

الصفات الثبوتية:

كل صفة تكون من كمالات أصل الوجود، وتزيد موصوفها قيمة في وجودها وتكمل ذاته، هي صفة ثبوتية، وصفة جمال بشرط أن لا يلزم تجسيم الموصوف وتغيّره. مثل: العلم، والقدرة، والحياة، والكلام، والإرادة.

فلو أننا قايسنا بين موجودين وكان أحدهما عالماً والآخر جاهلاً، فسندرك بالبداهة أن العالم أكثر كمالاً وقيمة من الجاهل.

ومن هنا نستطيع أن نحكم بأن العلم هو إحدىٰ كمالات أصل الوجود، كما أن بإمكاننا أيضاً أن نعرف سائر الصفات الكمالية بهذا القياس.

إن الإله العالم «عز وجل» يتصف بجميع صفات الكمال والجمال، وكلها ثابتة بالنسبة لذاته. ولإثبات هذه المسألة نكتفي بدليلين:

الدليل الأول: إن كل ما هو موجود في العالم من كمال وخير وإحسان، مخلوق من قبل الله ـ تعالىٰ ـ وموهوب للموجودات إذ كما أن المخلوقات محتاجة في أصل وجودها إلى الله ـ تعالىٰ ـ، فكذلك هي في كمالاتها الوجودية وصفاتها الجمالية، محتاجة إليه ـ تعالىٰ ـ.

وكما أن الله ـ تعالىٰ ـ قد وهبها أصل وجودها وهي ليست مستقلة في ذاتها، فكذلك هي تأخذ الكمالات الوجودية من الله عز وجل.

إذاً، فإن خالق الموجودات وصفاتها الكمالية هو الله.

ولو أنك تأملت قليلاً، فلسوف يقول عقلك: لا يمكن أن تخلو ذات الخالق ـ الذي وهب كل هذه الكمالات لمخلوقاته ـ من الكمالات إذ لو إنه لم يكن يملك الكمالات لما كان بإمكانه أن يهبها لغيره، فما لم يكن المصباح مُضاءً بذاته لا يمكنه أن يكون مضيئاً للآخرين. وما لم يكن الزيت دسماً بذاته لا يمكنه أن يُدسّم الأشياء الأخرى. وما لم يكن الماء بللاً بذاته لا يمكنه أن يُبلل سائر الأشياء.

الدليل الثاني: إن ذات الله تعالىٰ وجود مطلق ولا يحدّه حد أو نقص. ولأنه ليس محدوداً وناقصاً، لذا فإنه لا يحتاج إلى الغير ولا يأخذ وجوده من الغير، أي أنه واجب الوجود. وعلى هذا، فإن كل صفة تكون من كمالات الوجود، تكون ثابتة بالنسبة لله تعالىٰ، ولا يحدّ ذاته بالنسبة إليها حدٌ ولا يفتقدها. فلو لم يكن الله كاملاً، لأصبح محتاجاً ومحدوداً، ولم يكن واجب الوجود وغير محتاج بالذات.

يستفاد من هذا الدليل ومن الدليل السابق، أن ذات الخالق ـ تعالىٰ ـ كامل من جميع النواحي وغير محدود، ويتمتع بكل الكمالات الوجودية والصفات الثبوتية.

بعض من الصفات الثبوتية:

١ ـ **القدير**: إن الله قدير قويّ، أي أنه يفعل ما يشاء من الممكنات، ولا يعجز عن فعل شيء، ولا يُجبر أو يضطر إلى فعل شيء. ولا يحد قوته وقدرته حدود.

٢ ـ **العليم**: إن الله عالم. أي أنه بكل شيء عليم، ويحيط علماً بكل

موجودات وظواهر العالم، ولا يخفىٰ عليه شيء. حتى أنه يعلم بما يدور في قلوب ونيّات عباده. ومحيط بكل حال وبكل شيء.

٣ ـ الحي: إن الله حي. وهو موجود يؤدي أفعاله عن علم وقدرة وإرادة. وليس الله كسائر الأحياء الذين يُعرفون أحياءً عن طريق الحركة والتنفس وتناول الأكل، بل إن أداءَه لأفعاله عن علم وقدرة وإرادة يثبت حياته.

٤ ـ المريد: إن الله مريد. أي أنه يؤدي أفعاله عن إرادة وقصد. وهو ليس كالنار التي لا تملك إرادةً في الإحراق. إن الله وجودٌ كامل يؤدي أفعاله عن إرادة، بخلاف الفاعلين الناقصين الذين لا يملكون إرادة.

٥ ـ البصير: إن الله بصير. أي أنه يبصر جميع الحوادث والأشياء المتطورة، ولا يغيب عن نظره شيء.

٦ ـ السميع: إن الله سميع بصير. أي أنه يسمع جميع المسموعات ولا يغفل عن شيء منها.

٧ و ٨ ـ القديم والأبدي: إن الله قديم. أي أنه كان موجوداً منذ الأزل، وليس مسبوقاً بعدم. وأبديٌ، أي أنه سيظل موجوداً إلى ما لا نهاية، والزوال ليس ممكناً بالنسبة إليه. إن الله وجود مطلق، والوجود عين ذاته. ولهذا فإنه لا يحتاج في وجوده إلى الغير، وهو كانٌ موجوداً منذ الأزل وسيبقىٰ إلى الأبد ولم يهبه أحد الوجود كي يشكره. وهو تعالىٰ أسمىٰ وأجل من الزمان والموجودات الزمانية، وليس له أول ولا آخر.

٩ ـ الكليم: إن الله كليم، أي أنه ـ تعالىٰ ـ يستطيع أن يحدّث الآخرين ويفهمهم ما يريد.

إن مثل هذه الصفات تسمىٰ بالصفات الثبوتية، وهي ثابتة لله تعالىٰ.

التفاتة ضرورية:

لأننا ناقصين في ذواتنا وصفاتنا، لذا فليس بإمكاننا أن نفعل شيئاً دون

الاستعانة بحواسنا وأعضائنا البدنية. نحن نملك القوة، إلاّ أننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً دون الاستعانة بأعضائنا. ونملك قوة سامعة، ولكننا لا نستطيع أن نسمع شيئاً دون الأُذن. ونملك قوة باصرة، إلاّ أننا لا نستطيع أن نبصر شيئاً دون الاستعانة بالعين.

ولكن. لأن الله ـ تعالىٰ ـ هو في غاية درجات الكمال والسمو في الذات والصفات، لذا فإنه يبصر ويسمع ويفعل ويفهم، دون عين وأُذن وأعضاء وجوارح وأعصاب ودماغ.

إن السبيل الوحيد للسمع والبصر، هو بواسطة الأذن والعين. هذا بالنسبة لنا ولكن حقيقة السمع والبصر، ليست سوى عدم اختفاء الأشياء المسموعة والمنظورة عن الشخص، وإن كان ذلك دون الاستعانة بالحواس.

وكذلك هي ذواتنا ومداركنا العلمية أيضاً، لو أنها لم تكن ناقصة ومحدودة، وكنا نستطيع أن نسمع ونبصر دون الاستعانة بالأذن والعين، لكان يصدق هنا بلا شك السمع والبصر. كما نرىٰ ونبصر ونسمع في عالم المنام، دون عين وأذن طبيعيين.

ولأن الخالق ـ تعالىٰ ـ في غاية درجات الكمال الوجودي في الذات والصفات، فكذلك هي أفعاله، تختلف عن أفعال البشر ولا يوجد في أفعاله نقص وعوز.

* * *

الصفات الذاتية والصفات الفعلية

تنقسم الصفات الثبوتية لله ـ تعالىٰ ـ بشكل عام إلى قسمين: صفات ذاتية، وصفات فعلية.

الصفات الذاتية: هي الصفات الثابتة والدائمة لذات الله ـ تعالىٰ ـ والتي لا يتوقف ثبوتها على شيء آخر، مثل: العليم والقدير، والحي.

إن هذه الصفات كانت دائمة بالنسبة لذات الله ـ تعالىٰ ـ منذ الأزل، ولا يتوقف ثبوتها على وجود آخر. بل إنها عين ذاته.

كان الله عليماً، حتى قبل أن يخلق شيئاً. وكان قديراً قبل أن يوجد مقدوراً. وهو حيّ دائمي أزلي. إن الله عين العلم والقدرة والحياة. وإن مقام الذات الإلهية ليس خالياً من العلم والقدرة، وإلاّ لكان محدوداً وناقصاً ومحتاجاً. وليست الذات المحدودة والناقصة واجبة الوجود.

الصفات الفعلية: إن الصفات التي تأخذ من بعض أفعال الله ـ تعالىٰ ـ تُسمىٰ بالصفات الفعلية. مثل: الخالق، والرازق، والجواد، والغفور.

فلأنه يخلق الموجودات، يُسمىٰ الخالق. ولأنه يرزقهم، يسمىٰ الرازق. ولأنه يجود عليهم، يُسمىٰ الجواد. ولأنه يستر عيوب وخطايا العباد ويتجاوز عنها يسمى الغفور.

إن مثل هذه الصفات، تدلل في الواقع على نوع من الارتباط الخاص بين الخالق تعالىٰ ومخلوقاته.

حديث:

عن الحسين بن خالد قال: سمعت الرضا علي بن موسىٰ عليه السلام يقول: لم يزل الله تبارك وتعالىٰ عالماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً، فقلت له يا بن رسول الله إن قوماً يقولون: أنه عز وجل لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدرة، وحياً بحياة، وقديماً بقدم وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر. فقال عليه السلام: من قال بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرىٰ، وليس من ولايتنا على شيء، ثم قال عليه السلام: لم يزل الله عز وجل عالماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً لذاته[1].

الصفات السلبية:

كل صفة تدل على أن الله تعالىٰ ليس فيه نقص وعيب، تُدعىٰ صفة سلبية وصفة جلال. إن الله كامل بالذات وليس فيه نقص أو عيب. وأية صفة تكون نقصاً بالنسبة لله يجب أن تُسلب منه.

بعض الصفات السلبية:

١ ـ إن الله ليس مركباً؛ كل موجود يُركب من جزئين أو أكثر، يدعىٰ مركباً. لكن الله ليس مركباً وهو لا يتكوّن من أجزاء؛ لأن كل مركب يحتاج إلى أجزائه، ودون وجود الأجزاء يستحيل وجوده وكذلك الله تعالىٰ فلو كان مركباً لاحتاج إلى أجزاء بالضرورة، والذات التي تكون محتاجة وناقصة، لا تكون واجبة الوجود وإلهاً.

وإضافة إلى ذلك، فإن كل مركب يحتاج إلى علّة تُركب أجزاءه وتآلفها ليصبح مركباً. فلو أن الله ـ تعالىٰ ـ كان مركباً أيضاً، لكان قد احتاج مضطراً

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤، ص ٦٢.

إلى علّة. وإن الذات التي تكون ناقصة ومحتاجة إلى علّة ومسبب، لا تعد إلهاً وواجبة الوجود.

٢ ـ إن الله ليس جسماً؛ لأن الجسم مركب وقد ثبت قبل قليل أن الله ليس بمركب، إذاً فهو ليس بجسم أيضاً. وإضافة إلى ذلك، فإن كل جسم يحتاج إلى محل ومكان يكون فيه. ولا يمكن أن يوجد دون مكان، مع أن الله خالق للأمكنة، فهو لا يحتاج إليها. إن ما يكون جسماً ويحتاج إلى مكان، لا يكون إلهاً أو واجب الوجود.

٣ ـ إن الله ليس مرئياً؛ أي أنه لا يُرى بالعين المجردة، لأن الأجسام وخواصها هي وحدها التي يمكن أن تُرىٰ بالعين المجردة، مع أنه قد ثبت لنا فيما مرّ أن الله ليس بجسم، وعلى هذا، فإنه ليس مرئياً أيضاً.

٤ ـ إن الله ليس جاهلاً؛ لأنه قد ثبت في بحث الصفات الثبوتية إن الله عليم بكل شيء، ولا يحدّ علمه حد، وإن الجهل نقص وعيب يستحيل وجوده في الكامل.

٥ ـ إن الله ليس عاجزاً؛ لأنه قد ثبت فيما سبق أن الله قديرٌ على كل شيء، ولا يحد قدرته المطلقة حد. وإن العجز والضعف نقص كبير يستحيل وجوده في ذات الكامل.

٦ ـ لا يقع ذات الله ـ تعالىٰ ـ محلاً للحوادث؛ ويستحيل التغيير في وجوده. لا يهرم، ولا يمرض، ولا ينسىٰ، ولا ينام ولا يتعب، ولا يندم لفعل يفعله؛ لأن مثل هذه الصفات هي من آثار الجسم والمادة، وبما أنه قد ثبت فيما مرّ، أن الله ليس بجسم ولا مادة؛ لذا فإنه لا يقع محلاً لهذه الحوادث.

٧ ـ لا شريك لله؛ ستجد دليل هذه المسألة في بحث التوحيد.

٨ ـ ليس لله مكان معين، لا في السماء ولا في الأرض؛ لأنه ليس بجسم كي يكون موجوداً في مكان.

إن الله خالق الأمكنة، وهو ـ تعالىٰ ـ أجل وأسمىٰ من أن يحتاج إلى مكان. لأنه يحيط بجميع الموجودات ولا يوجد ظرف يحتمل وجوده. وهو موجود في كل مكان، ويحيط بجميع الموجودات. ولكن ليس بمعنى أنه يحتل عالم المادة كجسم كبير، بل بما أنه وجود مطلق ولا يحده حد ومكان، لذا فإنه محيط بجميع الموجودات وليس منفصلاً عنها. ولا يمكن أن يقال بشأنه: إنه هنا أو هناك.

ونحن عندما نرفع أيدينا إلى السماء أثناء الدعاء، ليس لأننا نعتقد أن الله موجود في السماوات. بل إننا نريد بذلك أن نبدي ذلتنا واستكانتنا، وإن بجسم حالة داعٍ محتاج.

٩ ـ إن الله ليس محتاجاً؛ أي أنه لا يحتاج شيئاً أبداً. لأن ذات الله ـ تعالىٰ ـ كاملة من جميع الجهات. وليس فيه نقص كي يحتاج إلى الغير. ولو أنه كان محتاجاً لشيء لأصبح محدوداً وناقصاً ولم يعد واجب الوجود.

وإذا كان قد عيّن لنا تكاليف وواجبات، فليس معنى ذلك أنه بحاجة إلى صلواتنا وصيامنا وسائر عباداتنا. بل أنه ـ تعالىٰ ـ يريد أن يكمّل وينوّر أرواحنا ونفوسنا بواسطة العبادة والقيام بالأعمال الحسنة لكي نكون مهيئين للحياة الأخروية السعيدة والاستفادة من نِعَم الجنة الخالدة.

وإذا كان قد طَلب إلينا أن نعطي الخمس والزكاة والصدقة، وأن نحسّن أحوال بني جنسنا، وأن نكون مبادرين للأعمال الخيريّة، فليس ذلك لأنه بحاجة إلىٰ مساعداتنا المادية، بل بما أن الخمس والزكاة والصدقات المستحبة والإعانات في المسائل الخيرية، ضرورية بالنسبة لإرادة شؤوننا الاجتماعية وفي صالح الناس عموماً، فقد أوجب ـ تعالىٰ ـ بعضها وأوحىٰ كثيراً بشأن الصدقات وإقامة المشاريع التي تشتمل على فائدة عامة.

إضافة إلى أن بذل المال في سبيل الله والإحسان إلىٰ الفقراء وتأسيس المشاريع الخيرية، هو بحد ذاته عبادة عظيمة ستكون سبباً لكمال النفس

والوصول إلى الأجر الأخروي.

١٠ ـ إن الله ليس بظالم. وسيأتيك دليل ذلك في بحث العدل.

* * *

التوحيد

إن الله واحد، لا شريك له في خلقه الكون. وهو على كل شيء قدير، ولا يوجد خالق سواه.

إن جميع الموجودات ـ صغيرها وكبيرها ـ قد خلقها الله دون أن يحتاج لمعونة أحد؛ لعدة أسباب:

السبب الأول ـ لو كان يوجد إلهان أو أكثر، لما خرجت المسألة عن احتمالات عدة:

الإحتمال الأول، أن يكون كل من الإلهين، قد خَلق جميع الموجودات منفرداً. أي أن يُخلق كل موجود مرتين من قبل إلهينِ مستقلين عن بعضهما. وبقليل من التأمل يثبت بطلان هذا الفرض؛ لأن الموجود، لا يوجد أكثر من مرة، ولا يمكن أن يكون له أكثر من خالق وموجدٍ واحد؛ ولأنه لا يمكنه بعد أن يهبه الله الوجد، أن يكسب وجوداً من غيره أيضاً، لأنه تحصيل حاصل، ويستحيل وجود تأثير لعلتين في معلول واحد.

الإحتمال الثاني، أن يخلق الإلهان الموجودات بالتعاون والاشتراك فيكون كل موجود، مخلوقاً من قبل إلهين اثنين، ويكون كل من الإلهين، جزء العلة ونصف الفاعل.

والإحتمال المذكور باطل أيضاً ولا أساس له؛ لأنه إذا كان تعاون الإلهينِ، لنقص وحاجة، كانا عاجزين عن الخَلق كلٌ بمفرده، والنقص والاحتياج لا ينسجم مع الألوهية.

وإن قيل: إن كلاً منهما بإمكانه أن يخلق الكون بمفرده، لكنهما في الوقت ذاته، يتعاونان ويشتركان في خلق الموجودات كما يشترك أحياناً، عددٌ من الأشخاص في رفع إحدى الصخور، بالرغم من أن كلاً منهم بإمكانه أن يرفعها بمفرده.

وهذا الإحتمال ليس صحيحاً أيضاً، لأن العلتين والفاعلِين اللذين يستطيع كل منهما أن يفعل فعلاً ما بمفرده، إذا ما غضضنا الطرف عن استقلالهما، وفعلا ذلك بالتعاون مستمدين القوة من بعضهما، فسوف لا يكون ذلك من دون سبب. فإما أن يريدا الإقتصاد في استهلاك الطاقة، وإما يبغيان الأمان من الاعتراض والعرقلة، أو أنهما يخشيان بعضهما بعضاً. واختصاراً، إنهما يحتاجان إلى أن يتساوما ويتعايشا. بينما تستحيل الحاجة والفقر بالنسبة إلى الله تعالىٰ.

وإضافة إلى ذلك، بما أن كلاً من الإلهين المفروضين يحيط علماً بمصالح خلقه العالم وهو قدير على إيجادها، وأن العلم والقدرة هما عين ذاته، ولا يمكن البخل فيه، لذا يقتضي أن يكون علّة وخالقاً مستقلاً بالنسبة لخلقة الكون، وأن يعمل طبقاً لعلمه وقدرته. وعلى ذلك يستلزم بالنتيجة، أن يخلق كل من الإلهين المفترضين العالم، على انفراد واستقلال، بينما قد ثبت لنا فيما مرّ، استحالة تأثير علتين مستقلتين في معلول واحد.

الإحتمال الثالث، هو أن يُقسّم الإلهان المفترضان موجودات العالم فيما بينهما، ويخلق كل منهما مجموعة من الموجودات بشكل مستقل، ولا يتدخل في خلق الموجودات الأخرىٰ.

وهذا الإحتمال، باطل أيضاً، لأن كلاً من الإلهين المفترضين لو كان يعلم بصلاح المخلوقات التي هي من سهم الآخر، وكان قادراً على إيجادها، لكان يجب أن يكون خالقاً وموجِداً لها أيضاً. وهذا يستلزم أن يكون لعلتين تأثير في معلول واحد. وقد ثبت بطلانه فيما مضىٰ. وإن كان لا يعلم بصلاحها، أو أنه لا يقدر على إيجادها، أو يبخل بها، فكذلك سيكون

ناقصاً، وهذا لا يليق بالألوهية.

السبب الثاني ـ لو أن واحداً من الإلهين المفترضين، قد خلق موجوداً، وقرر الآخر أن يعدمه، فلو كان الإله الأول قادراً على الدفاع عن مخلوقه والحؤول دون فعل الإله الثاني، فسيكون الثاني عاجزاً وليس بإله.

نتيجة التوحيد:

بما أننا نعتقد بوحدانية الله، وكونه قادراً على كل شيء، لذا نعدّ ما سواه كائناً ما كان، قاصراً وضعيفاً. لا نعترف بغير الله والياً ورباً. لا نسجد لأحدٍ سواه تعالىٰ. ولا نبدي العبودية والخضوع لغير الله. لا نفوض إرادتنا وحريتنا لأحد قط. ولا نقف أمام بشرٍ وقفة خضوع وخشوع لا حدّ له.

وعندما نحترم الأنبياء والأئمة وزعماء الدين ونتبع أوامرهم، فلأن الله ـ تعالىٰ ـ قد أوجب طاعتهم وألزمنا باتباعهم.

كما أن أوامرهم هي ـ دائماً ـ في ضوء الأحكام والقوانين الإلهية، ولا تتخطىٰ حدود الدين.

نذهب لزيارة قبور الأنبياء والأئمة، ونكرم ونحترم مراقدهم، ولكن ليس بنيّة عبادتهم، بل بقصد الاحترام والتجليل لمقامهم المعنوي المقدس وطهارتهم. نعمّر مراقدهم ونزورهم، من أجل تعظيم مقامهم السامي وتضحياتهم الدينية، وإفهام الآخرين أن كل من يجد في سبيل الله وفي سبيل إرشاد وهداية الناس، فسوف لا ينسىٰ في هذه الدنيا أيضاً. وننشغل في حرم أولئك الرجال الطاهرين والمنتجبين من قبل الله، بالدعاء والتوسل ونطلب من الله قضاء حوائجنا ومغفرة ذنوبنا. ونتوسل ونستشفع بأرواح أولئك الرجال الطاهرين الإلهيين، عند الله تعالىٰ.

* * *

العدل

إن الله عادل. لا يظلم أحداً. ولا يصدر منه ـ تعالىٰ ـ ما هو قبيح. وكل أفعاله تصدر عن حكمة ومصلحة، ولا يضيع أجر محسن من ذكر أو أنثىٰ. ولا يخلف وعده. ولا يصدر منه الكذب. ولا يعاقب أحداً دون ذنب، بدليلين:

الأول ـ إن من يظلم أو يرتكب فعلاً قبيحاً، لا يخرج عن ثلاث حالات: إما أنه لا يدرك سوء وقبح ذلك الفعل وبذا يرتكب الظلم وإما أن يعي قبح الظلم والجور، لكنه يرى بأيد الآخرين شيئاً لا يملكه هو، ويحتاج إليه، فيظلمهم كي يحصل على أحوالهم ونتاج أتعابهم. إن رب العمل الذي يظلم عماله ويسلب حقوقهم، أو الظالم الذي يتجاوز على حقوق الآخرين، يرتكب الظلم بسبب شعوره بالنقص من حيث المال والقدرة، فيريد أن يسدّ نقصه وحاجته، بواسطة اغتصاب أموال ونتاج عمل وأتعاب الآخرين. أو أنه يعي قبح الظلم والجور، وليس محتاجاً أيضاً، لكنه يفعل ذلك بقصد الانتقام أو اللهو واللعب.

إن كل ظالم لا بد له ـ من ـ أحد هذه الدوافع، إلاّ أن خالق الكون ليس بظالم، لأن عدم المعرفة والجهل ليس مُتصوراً بشأنه، وهو يحيط بجميع مصالح وجهات حسن وقبح الأشياء. إنه كامل مطلق، وليس محتاجاً لشيء أو فعل قط. كما أنه ـ تعالىٰ ـ لا يصدر منه اللهو والعبث إطلاقاً، ولذا فإن الظلم ليس متصوراً بشأنه.

الدليل الثاني: إن عقلنا يدرك أن الظلم والجور فعل قبيح وغير مستحسن، كما أن جميع العقلاء متفقون على هذه المسألة، وأيضاً قد نهىٰ الله ـ تعالىٰ ـ بواسطة أنبيائه الذين اختارهم الناس عن الظلم والجور وعن الأعمال القبيحة. وتأسيساً علىٰ هذا، كيف يمكن أن يرتكب الله ـ تعالىٰ ـ عملاً قبيحاً بنظر جميع العقلاء، وكان قد نهىٰ عنه بنفسه؟

بالطبع إن الناس ليسوا جميعاً في مستوىً واحد، بل هناك اختلاف بينهم، من ناحية الفقر والغنىٰ، والقبح والجمال، وحسن الفهم وسوء الفهم، والسلامة والنقص. وهناك بعض الأشخاص مبتلون بابتلاءات صعبة. فالبعض يتعرض لمصائب سيئة وأمراض صعبة، وسبب ذلك كله، هو سلسلة العلل والعوامل الطبيعية التي هي ضرورة حتمية لعالم المادة والماديات. ولا مفر منها في نظام خلقة عالم المادة.

ولكن على أي حال، ليس هناك منع للفيض من جانب الله، وكل موجود يكتسب من الله الفيض، بقدر استعداده الذاتي ومساعدة العلل والظروف الطبيعية. إن الله ﴿**لا يكلف نفساً إلاّ وسعها**﴾. ولا يذهب سعي وكد أحد هدراً. وإنّ الطريق معبّد لتقدم ورقي كل شخص، ما دامت الظروف والأوضاع ملائمة.

* * *



الفصل الثاني

النبوة

يجب أن يبعث الله، مجموعة من الأنبياء من أجل إرشاد وهداية الناس، وإبلاغهم القوانين والأحكام الضرورية.

ودليل ذلك أن الغرض من خلق الإنسان ليس هو أن يعيش في الدنيا مدة من الزمن يتنعم بالنعم الإلهية، ويستغرق عمره بالكد والسعي ويتحمل أنواع المعاناة والمشاكل الجمة، وبعدها يموت وينتهي. ولو كان الأمر كذلك لأصبح خلق الإنسان والعالم، لغواً وعبثاً، وأن الله الحكيم جلَّ وعلا، منزهٌ من فعل اللغو والعبث. قال تعالىٰ: ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾[1].

بل إن الإنسان قد خلق لهدف أسمىٰ. إن الله قد خلق البشرية، لكي تحصل على الفضائل والكمالات الإنسانية، ولأن تتأهل للوصول إلىٰ درجات ومقامات أسمىٰ في العالم الآخر.

وعلىٰ هذا، فإن البشرية تحتاج من جهة إلى نظام متكامل وأحكام وقوانين شاملة، تنظم حياتها الدنيوية، وتحول دون تجاوزات واعتداءات الأفراد، وتضمن حقوقها وحرياتها وأمنها. ومن جهة أخرىٰ، تهديها إلى

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

سبيل التكامل الإنساني، والصراط المستقيم للدين، والرجوع إلى الله تعالىٰ، وتعلّمها الفضائل والكمالات النفسانية، وتردعها عن الأخلاق السيئة وعوامل الانحراف.

لكن العقل الإنساني القاصر والناقص، لا يستطيع أن يضع ويسن قوانين وتعاليم كاملة ويقدمها للناس؛ لأن علوم ومعارف الإنسان ناقصة ومحدودة، وهو ليس مطلعاً بما يكفي على حوائج الإنسان المختلفة، وعلىٰ جوانب الخير والشر في موارد تزاحم وتشابك القوانين. والدليل على هذا، هو أن البشرية منذ أن وجدت وإلىٰ الآن، كانت تسعىٰ على الدوام إلىٰ أن تضع قوانين كاملة لإدارة شؤون المجتمع، وقد تحملت المتاعب في هذا السبيل، وصرفت الميزانيات الكبيرة، إلا أنها لم تستطع أن تصل إلى مبتغاها من القوانين إلى الآن. وفي كل يوم تسن مجموعة من القوانين، إلاّ أنه لا يمضي عليها كثير وقت، حتى تكتشف نقصها وتقف على عيوبها، فإما أن تلغيها كلياً أو تعمل على إصلاحها بإضافة فقرات عليها هذا أولاً.

وثانياً ـ إن غريزة الأنا والنفعيّة الموجودة في النفس، لن تسمح للمقننين ـ البشر ـ أن يغضوا الطرف عن مصالحهم الشخصية، وينظروا إلى الناس كافة بمنظار واحد، ويأخذوا بنظر الاعتبار المصلحة العامة عند التقنين. فكلما قرروا أن لا يتبعوا غريزة الأنا والتعصب، وتظاهروا بذلك، تغلبت بالنتيجة غرائزهم وطبائعهم النفسيّة عليهم، ووضعتهم في مسار المنفعيّة، شاؤوا أم أبوا.

وثالثاً ـ إن المقننين ـ البشر ـ لا يعرفون من الفضائل والكمالات الروحانية شيئاً، وليسوا مطلعين على النظام الحياتي المعنوي. ولا ينظرون إلى سعادة البشرية إلاّ من جهة الأمور المادية. بينما لا تنفصل الحياة الدنيوية للإنسان عن حياته الروحانية، بل يربط بينهما رباط وثيق.

إن خالق الإنسان والكون، هو الوحيد القادر على الإحاطة بجميع جوانب المصالح والمفاسد الواقعية للإنسان، وهو العارف بسبيل التكامل

والاجتناب عن المهالك، والقادر على أن يضع الأحكام والقوانين الكاملة التي تضمن سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية.

ومن هنا نقول: لا يترك الخالق الحكيم، الإنسان في وادي الضياع والجهالة مطلقاً، بل يقتضي فيض ألطافه بأن يقدم القوانين والبرامج اللازمة للناس، بواسطة الأنبياء المنتخبين الذين هم من نفس جنس البشر. إن الأنبياء هم أشخاص ممتازون، بإمكانهم أن يتصلوا بإله الكون، ويعرفوا بعض الحقائق، ويبلغوها إلى الناس. وإن مثل هذا الارتباط يسمّىٰ بالوحي.

إن الوحي هو نوع من الارتباط والاتصال الخالص، بين الخالق ـ تعالىٰ ـ والنبيّ. ويرىٰ النبي بواسطة عينه الباطنية حقائق العالم. ويسمع بأذن القلب حديث الغيب. ويبلغه إلى الناس.

* * *

صفات النبي

الأولىٰ: العصمة.

يجب أن يكون النبي معصوماً. أي أن يتمتع بقوة وقابلية على عدم ارتكاب الذنب والخطأ والسهو، لكي يبلّغ الناس، الأحكام الإلهية المرسلة إليهم بهدف هدايتهم، دون زيادة أو نقصان.

فلو أن النبيّ عصى. وعمل خلاف أقواله لانعدمت قيمة كلامه، ونقض أقواله بأعماله، ولهدى الناس بالفعل نحو ارتكاب الذنوب ومخالفة القوانين الإلهية. ولا يُشك في أن التبليغ العملي أكثر تأثيراً من التبليغ الكلامي. ولو كان النبيّ من أهل الخطأ والسهو، لسلبت منه الثقة وانعدمت قيمة كلامه.

الثانية: العلم.

يجب أن يعرف النبيّ كافة القوانين والأحكام الضرورية لسعادة الإنسان ـ الدنيوية والأخروية، وأن لا يجهل أي شيء ضروري لهداية وإرشاد البشرية، لكي يتمكن من هدايتها إلى سبيل التكامل الحقيقي، ونظام السعادة بشكل كامل، ويعرّفها بالصراط المستقيم ـ للدين ـ الذي يربط بين أجزائه رباط وثيق.

الثالثة: المعجزة.

المعجزة فعل خارق للعادة، يحصل بواسطة الأسباب والعلل غير الطبيعيّة، وتكون قوة البشر عاجزة عن فعله، فلأن النبيّ يدعي أن بإمكانه أن

يتصل بالعوالم الغيبية، وبخالق الكون، وأن يحصل على علوم ومعارف عن هذا الطريق، خلافاً للمعتاد، ويدعي أنه مأمور من قبل الله بهداية وإرشاد الناس، ويبين أحكامه وقوانينه بوصفها أحكاماً إلهية، لذا لا بد له أن يؤدي فعلاً يختلف عن الأفعال العادية بحيث يعجز الناس العاديون عن الإتيان بمثله، وذلك من أجل إثبات مدّعاه، لكي يُثبت بذلك نبوّته واتصاله بالله الذي هو بحد ذاته من الأمور غير العادية أيضاً. ونسمي هذا القبيل من الأفعال بالمعجزة.

ولا يفوتنا أن نذكر أن برامج الأنبياء ليست كلها بهذا الشكل، وبنحو ينصرفون معه عن الأسباب والعلل الطبيعية بشكل تام، ويتوسّلون بالمعجزة لأداء أعمالهم كلها. بل متى ما اقتضت الضرورة، وتوقف إثبات النبوّة على الإتيان بالمعجزة، أتوا بها.

السبيل إلى معرفة النبي:

أثبتنا أن النبي يتمتع بموقع ومقام استثنائي، ويمكنه الاتصال بالله والحصول على الحقائق عن طريق الوحي. وأن للنبيّ قوة عصمة استثنائية، وهو معصوم عن الذنب والخطأ والنسيان. وواضح أنه ليس بإمكان أي كان، تشخيص هذه المنزلة المهمة والغامضة.

ولهذا، فيمكن تشخيص ومعرفة النبيّ عن أحد طريقين:

الأول: أن يصدقه نبي آخر تكون نبوته قد ثبتت من قبل، بأن يبشر بقدومه ويبين علائمه وآثاره.

الثاني: أن يأتي بمعجزة من أجل إثبات صدق مدعاه، ويفعل شيئاً يعجز البشر عن فعل مثله. فحينما يرى الإنسان، أن شخصاً يدعي النبوة، ويقول إنني مأمور من قبل الله تعالىٰ لهدايتكم، ويقدم من أجل إثبات صدق

مدعاه عملاً يعجز البشر عن الإتيان بمثله، يوقن بأنه صادق، وإلاّ لما أيده الله بواسطة المعجزة. لأن تأييد الكاذب عمل قبيح وإغراء بالجهل، وإن الله ـ تعالىٰ ـ لا يرتكب العمل القبيح.

ولكن لا يفوتنا أن نذكر: أنه يوجد هناك سبيل آخر أيضاً، مفتوح للعلماء والمحققين. وأن بإمكانهم أن يتناولوا قوانين وأحكام الدين بالبحث والتحقيق المعمق، وأن يقارنوها بسائر القوانين الأخرىٰ، ويقفوا على صلاحها وامتيازاتها. وأن يتفحصوا ويدققوا في سيرة وأخلاق وأقوال مدعي النبوّة، ليحصلوا ـ عن هذا الطريق ـ على شواهد تؤيّد صدق مدعاه، وتقوي إيمانهم. إلاّ أنه لا يمكن لأي كان، أن يطوي هذا السبيل، وهو لا قيمة له سوى تأييد منزلة النبوة وتعزيز قوة الإيمان.

لقد ذكر القرآن الكريم معجزات لبعض الأنبياء، ومن يؤمن بأن القرآن كتاب سماوي، يكون مضطراً لقبولها. لا يمكن إنكار قصة تحول عصا موسىٰ إلى أفعىٰ، وإحياء الميت وشفاء الأعمىٰ من قبل عيسىٰ (ع) وقضية تكلم عيسىٰ (ع) في المهد، لأن كل ذلك جاء في صريح القرآن.

عدد الأنبياء:

يستفاد من الأحاديث الواردة، أن الله قد بعث لهداية وإرشاد البشرية، مائة وأربعة وعشرون ألف نبي. كان أولهم آدم (ع) وآخرهم محمد بن عبد الله[1] (ص).

يقسم الأنبياء إلى عدة أقسام: البعض منهم كان يحصل على وظائفه وتكاليفه عن طريق الوحي، إلاّ أنه لم يكن مأموراً بتبليغها. وقسم آخر كانوا مأمورين بالتبليغ أيضاً. والبعض منهم كان لهم دين وشريعة خاصة والبعض الآخر لم يأتِ بشريعة خاصة، بل كان يروّج لشريعة نبيّ آخر. وفي الكثير من

(١) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٠.

الأوقات، كان يوجد عدة أنبياء يقومون بأداء وظائفهم في البلدان والمدن المختلفة في زمان واحد.

إن نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) هم أفضل الأنبياء، وقد جاؤوا بشرائع خاصة، ويعرفون بأولي العزم.

والبعض من الأنبياء كان معهم كتاب أمثال نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد. والبعض الآخر لم يكن معهم كتاب.

والبعض منهم كان مبعوثاً إلى الناس كافة. والبعض الآخر كان مبعوثاً إلى جماعة خاصة[1].

* * *

---

(١) بحار الأنوار، ج ١١، ص ١ ـ ٦١.

محمد خاتم الأنبياء

محمد بن عبد الله هو أحد الأنبياء العظام وأفضلهم، وهو نبينا نحن المسلمين. حينما انتخب محمد للرسالة، كان مستوىٰ الإدراك الديني للناس قد وصل إلى حد يمكّنهم من فهم أكمل القوانين وأسمىٰ المعارف، وذلك نتيجة للجهود والتضحيات المستمرة التي بذلها الأنبياء السابقون. وعند ذاك بُعثَ نبي الإسلام، وجاء بنظام كامل وأحكام شاملة للناس.

فلو طبقت أحكام وتعاليم الإسلام، لضمنت سعادة الإنسان الدنيوية والأخروية. وَكما كانت كافية لهداية الناس في عصر النبيّ، فكذلك هي كافية لضمان سعادة الناس في العصر الراهن، ولأجيال المستقبل القادمة.

إن من يبحث في القوانين والمعارف الإسلامية بدقة وتفحص، ويقارنها بسائر القوانين الأخرىٰ، يتضح له امتياز وأفضلية قوانين الإسلام. ولهذا، فإن محمداً (ص) هو آخر الأنبياء وخاتمهم، ولا نبي بعده[1].

إن مسألة خاتمية نبوّة محمد (ص)، هي من الضروريات، ومن ينكرها لا يعد مسلماً.

* * *

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

المعجزة الخالدة

إن للنبيّ الأكرم (ص) معاجز عديدة، صدرت منه طوال أيام حياته الشريفة، وهي مدونة في كتب التاريخ والحديث. أضف إلىٰ ذلك، أن القرآن الكريم هو بحد ذاته معجزة خالدة، وسند قطعي على نبوته (ص).

إن القرآن المجيد يصرّح بأنه معجزة، ويعلن للناس: ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدا فأتوا بسورة من مثله** ﴾[1]. ويقول: ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾[2].

إن أعداء الإسلام لم يعرفوا شيئاً إلاّ وفعلوه من أجل محاربة الإسلام، وقد خاضوا في هذا السبيل، معارك دامية وخطيرة، وتحملوا خسائر كبيرة بالأرواح والمعدات، إلاّ أنهم لم يتمكنوا من منازلة قرآن محمد والإتيان بسورة من مثله، بينما لو كانت هذه المسألة ممكنة بالنسبة إليهم، لقدّموها ـ بلا شك ـ على المواجهات الصعبة، وأراحوا أنفسهم من كل ذلك العناء والتعب[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.
(٣) من أجل التحقيق والتوسع في المسألة بالإمكان الرجوع إلى كتب التفسير والكلام والتاريخ والحديث.

لقد نزل القرآن الكريم على النبيّ الأكرم محمد (ص) بالتدريج خلال ثلاثة وعشرين عاماً. وكان أصحاب رسول الله (ص) يسجلون نص الآيات ويحفظونها. وبعد ذلك جمعت وخرجت بشكلها الحالي.

إن القرآن الكريم، هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يجرِ عليه أيّ تغيير أو تحريف، وهو نفسه الموجود بين أيدي الناس دون زيادة أو نقصان.

القرآن كتاب العمل. فإذا ما أراد المسلمون أن يكونوا سعداء ومرفوعي الهامات، ويستعيدوا مجدهم وعزتهم المفقودة، فليس أمامهم سوىٰ اتباع القرآن وتعاليمه الحكيمة، ويحلوا مشكلاتهم الاجتماعية العصيّة بتطبيقه.

نَبذة تاريخية عن الرسَول الأكرم محمدُ «ص»:

أبوه عبد الله وأمه آمنة. ولد بمكة في السابع عشر من ربيع الأول من السنة التي تدعىٰ بعام الفيل. بُعث بالنبوة في سن الأربعين. في العشرين من رجب المرجب. مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً، دعا فيها الناس إلى الإسلام في السر والعلن. وقد آمن به صلى الله عليه وآله خلال تلك الفترة جمعٌ من الناس. إلاّ أن الكفار وعبدة الأصنام قد حالوا دون انتشار الإسلام واتساعه بقوة، وعملوا علىٰ إيذاء وتعذيب رسول الله والمسلمين بشدة، إلى الحد الذي تعرضت فيه حياته الشريفة إلىٰ الخطر. فاضطر إلى الهجرة إلى المدينة. والتحق به المسلمون شيئاً فشيئاً. فتحولت المدينة إلى مدينة دينية وقاعدة عسكرية. ومكث الرسول (ص) عشرة أعوام هناك، يبلغ الناس الأحكام الإلهية ويقدم لهم التوجيهات والإرشادات اللازمة. حتى استعد جيش الإسلام للدفاع والجهاد.

لقد عاش نبينا الأكرم (ص) ثلاثة وستين عاماً، وتوفي في الثامن والعشرين من شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة وَوُرِيَ الثرىٰ في المدينة.

لقد كان رسول الله (ص) منذ نعومة أظفاره، يتمتع بالأدب والصدق،

وحسن السلوك، ومن هنا كان يلقب بالأمين. فمن مهمة حسن أخلاقه، كان أفضل إنسان. لم يكن ليصدر منه الكذب والخيانة قط، ولم يكن ليظلم أحداً، وكان يجتنب الأفعال القبيحة، ويحترم الناس، وكان حسن الأخلاق ومتواضعاً.

وكان يرأف بالمحرومين والمساكين ويحسن إليهم. وكان يعمل بما يقول. ونتيجة لأخلاقه الحسنة هذه كان الناس ينجذبون إلى الإسلام، ويفتنونه بمحض إرادتهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام ما مضمونه: أن سائلاً جاء إلى رسول الله (ص) وطلب إليه المساعدة، فاقترض (ص) مقداراً من التمر من أحد الأنصار وأعطاه للسائل. ومضت مدة من الزمن على ذلك دون أن يتمكن (ص) من تسديده، وفي ذات يوم جاء صاحب التمر وطالبه بتمره ـ فقال رسول الله (ص): ـ لا أملك الآن وسوف أعطيك حال تمكني. فجاء مرة أخرى وسمع نفس الجواب. وفي المرة الثالثة عندما سمع نفس الجواب، قال يا رسول الله إلى متىٰ تقول سأعطيك إن شاء الله، فابتسم (ص) عند كلامه هذا وقال: هل يوجد من يقرضنا تمراً؟ فقام إليه شخص وقال: أنا يا رسول الله. قال: أعط لهذا الشخص المقدار الفلاني، فقال الطالب إنني لا أطلب أكثر من نصف هذا المقدار. فقال (ص): النصف الآخر هدية مني إليك[1].

* * *

(١) حياة القلوب، ج ٣، ص ١٦٨.

قوانين الإسلام

ليست القوانين الإسلامية، أحكاماً عبادية وشعائر فردية وحسب، بل إن الإسلام نظام اجتماعي كامل تشمل أحكامه جميع نواحي حياة البشرية. وله أحكام وقوانين بخصوص الشؤون الاجتماعية، والسياسية، والجزائية، والمدنية و . . . وقد حكم الرسول الأكرم (ص) والإمام علي بن أبي طالب (ع) المسلمين، عن طريق تطبيق نفس هذه القوانين.

لقد حقق المسلمون الأوائل في صدر الإسلام، كل ذلك الرقي والتطور المدهش بواسطة تطبيق هذا النظام، وأسسوا حكماً قوياً وعزيزاً.

ونحن نعتقد أن القوانين الإسلامية هي أفضل وأكمل من كافة القوانين الأخرىٰ. وإذا ما طبقت بين الناس بشكل كامل، وأستفيد منها في إدارة شؤون المجتمع، فسوف يصل الناس إلى السعادة والهناء، ويجتث الظلم والاعتداء، ويسود السلام والهدوء بدلاً من الحروب والنزاعات. ويزول الفقر والبطالة.

ونحن نعتقد: أن قوانين الإسلام ليس فيها نقص، وهي لا تحتاج إلى إضافات وإصلاحات؛ فإن الشارع المقدس عليم بالمصالح الحقيقية للناس، وقد شرّع لهم أفضل القوانين

إن كل قانون يتعارض مع القرآن، ليس في صالح المسلمين ولا قيمة له. ونحن نعتقد: أنه يجب أن نتّبع تعاليم الإسلام والقرآن في كافة شؤون حياتنا، لكي نصبح سعداء.

إن الأوضاع المؤسفة للشعوب الإسلامية، لم تحصل بسبب الإسلام، بل إن جميع المصائب التي حلت بهم، كانت بسبب إعراضهم عن الأحكام والقوانين الإسلامية. فلأننا تركنا القوانين الإسلامية وراء ظهورنا، وطلبنا علاج مشاكلنا الاجتماعية من الغير، واكتفينا بالإسلام إسماً فقط، وصلنا إلى هذه النهاية المأساوية.

إن المسلمين إذا ما أرادوا أن يستعيدوا عزتهم وعظمتهم ومجدهم المفقود، ويرتقوا إلى مصاف الأمم المتقدمة والمتطورة في العالم، فليس أمامهم سبيل سوىٰ أن يكونوا مسلمين حقاً ويطبقوا كافة الأحكام والقوانين الإسلامية، وأن يستلهموا من النظام الاجتماعي القرآني مرادهم. ولكن ما دامت الأحكام والقوانين الإسلامية، حبراً على ورق ولم تطبق عملياً، فلا ينبغي توقع الرقي والتقدم.

* * *



الفصل الثالث

الإمامة

ثبت لنا في بحث النبوة، أنه يجب على الله تعالىٰ أن يبعث رسلاً لهداية الناس، وتبليغهم بالأحكام والقوانين التي توصلهم إلى السعادة والكمال. والآن نقول، بما أن النبيّ ليس خالداً في الدنيا، ومن الممكن أن تُمحىٰ الأحكام الإلهية النازلة من أجل هداية البشرية بعد موته، لذا يجب أن يخلفه شخص تستودع عنده الأحكام الإلهية، دون زيادة أو نقصان، ويعمل على تدوينها وحفظها وتبليغها، ويحمي الدين ويطبق أحكام الله ـ تعالىٰ ـ التي تضمن سعادة الإنسان. وأن يقضي حوائج الناس الدينية والدنيوية، لكي يكون طريق الوصول إلى الكمال والسعادة الإنسانية معبّداً، والاتصال بالله تعالىٰ دائماً غير منقطع.

إن شخصاً كهذا يدعىٰ بالإمام وبخليفة النبي (ص). إن الإمام حافظ وخازن لعلوم النبيّ (ص). والإمام أكمل إنسان، ومثال كامل للدين.. وهو قائد الأمة، يسلك سبيل التكامل والسعادة، ويعمل على هداية وإرشاد الناس.

* * *

صفات الإمام

العصمة:

يجب أن يكون الإمام (ع) معصوماً كالنبي (ص) من الخطأ والاشتباه والسهو، في تعلّم وتبليغ وتطبيق الأحكام. لكي تبقى الأحكام الإلهية محفوظة لديه دون زيادة أو نقصان، ولئلا يُحرف الأمة عن جادة الدين المستقيمة عند تطبيق الأحكام وإدارة المجتمع، ولئلا يُسد سبيل التكامل الرئيسي الذي لا يوجد سواه. يجب أن يكون الإمام معصوماً عن ارتكاب الذنب والمعصية، ويطابق قوله فعله، لكي ينال كلامه ثقة واحترام الناس.

فلو أن الإمام ارتكب الذنب، لاقتدئ الناس بأعماله المخالفة للشرع، ولدعاهم بأفعاله إلى مخالفة أحكام الشارع. إذاً يجب أن يكون الإمام معصوماً، أي أن يعمل بكافة أحكام الدين، وأن يكون عالماً وعارفاً بحقائق وبواطن الأحكام الدينية.

* * *

علم الإمام

يجب أن يكون الإمام عارفاً بكافة الأحكام والقوانين الدينية. ويجب أن يكون عالماً بكل المسائل الضرورية بالنسبة لمنصب الإمامة، لكي يكون محيطاً بأحكام الدين، وغير عاجز عند توجيه وإدارة الرعية، وليكون رمزاً للاستقامة، لكي يهتدي به الناس.

الفضيلة والكمال:

أثبتنا فيما مضىٰ أن الإمام يعمل بالأحكام الدينية كافة، ويسير حسب النصوص الشرعية. وعلى هذا، فإنه أفضل وأكمل الناس. يسير شخصياً في السبيل السوي للدين، ويدعو الآخرين ويهديهم إلى السبيل ذاته.

إن الإمام، مثال كامل للدين، ويمكن رؤية كافة الحقائق والمعارف الإلهية في وجوده المقدس.

المعجزة:

يستفاد من الأخبار والأحاديث الواردة، أن الأئمة الطاهرين (ع) كانت لديهم ـ شأنهم شأن الأنبياء ـ بعض الكرامات والمعجزات، وكان بإمكانهم أن يقوموا ببعض الأعمال التي يتعذر فعلها على الناس العاديين. ففي بعض الأحيان عندما كانت تقتضي الضرورة، ويتوقف أمر إثبات عصمتهم وإمامتهم على الإتيان بمعجزة ما، كانوا يأتون بها.

إن من يراجع كتب الحديث والمناقب والتاريخ، ويبحث في المعجزات الكثيرة المذكورة عن الأئمة الطاهرين (ع)، بذهن متفتح ونية خالصة سيوقن بشكل عام بأنها معجزات وأفعال خارقة للمألوف.

ولكن لا يفوتنا أن نذكر أننا لا ندعي أن جميع المعجزات المنسوبة للأئمة (ع) هي صحيحة ومضبوطة، بل يمكن أن يوجد من بين تلك المنسوبات ما هو باطل ومجهول.

معرفة الإمام:

يمكن التعرف على الإمام عن أحد طريقين:

الأول: أن يعرّفه النبيّ أو الإمام الذي يسبقه، وينصبه إماماً على الناس من بعده. ولو لم ينص الله والرسول والإمام الذي يسبقه عليه، لا يمكن للناس أن يتعرفوا عليه بأنفسهم أو ينتخبوه إماماً ووالياً عليهم. لأننا قد أثبتنا فيما سبق، أنه يجب أن يكون الإمام معصوماً عن الخطأ والزلل، وأفضل وأعلم الناس. ولا يعلم بمن هو معصوم سوى الله والرسول. وليس باستطاعة الناس العاديين أن يميّزوا المعصوم من غير المعصوم. ولا يعرف أحدٌ سوى الله والرسول (ص)، الكمالات الذاتية والعلوم الملكوتية للإمام.

الثاني: إذا ما جاء الإمام ـ من أجل إثبات إمامته ـ بعمل خارق للعادة، فعند ذاك تثبت إمامته، لأنه لو لم يكن صادقاً في ادعائه لما أيده الله سبحانه، بواسطة المعجزة.

الفرق بين الإمام والنبيّ:

يفرق الإمام عن النبيّ من جوانب عدة:

الأول: أن النبيّ هو مؤسس للدين، وآتٍ بأحكام الشرع. إلاّ أن الإمام حافظ ومطبق لها.

الثاني: يأخذ النبيّ أحكام وتعاليم الشرع عن طريق الوحي، ويتصل بخالق الكون بشكل مباشر. لكن الإمام ليس بمشرّع، أيّ لا توحىٰ إليه الأحكام والتعاليم الدينية، بل يأخذها من النبي، وتدخل في علمه توجيهات وإرشادات النبيّ (ص).

تعيين النواب وعدد الأئمة:

لا ريب أن كل متولٍ لمنصب أو مقام في المجتمع أو إدارة لشؤون مجموعة من الناس إذا ما أراد أن يتغيب عن الحضور في مكان عمله مؤقتاً، يعين نائباً عنه ويوليه رئاسة وإدارة أمر المجتمع. ولا يترك الأمور سائبة، دون أن يعيّن ويولي عليها أحداً يدير أمرها. وكان النبيّ الأكرم (ص) ملتفتاً إلى هذه القضية ويعيرها أهمية كبيرة. وأي قرية أو مدينة كانت تفتح علىٰ أيدي المسلمين، كان (ص) يولي عليها على الفور والياً وحاكماً.

وعندما كان يرسل الجيوش إلى الحرب، كان يعيّن لها قائداً، وأحياناً قواداً إحتياطيين... وكلما خرج في سفر أو اشترك في الحرب، كان يعيّن نائباً عنه ويعهد إليه بإدارة شؤون مجتمع المدينة. فلم يكن النبيّ الأكرم الذي كان وليّ المسلمين غافلاً عن مسألة أن الأمة الإسلامية، ستحتاج من بعد وفاته (ص) إلى معصوم يدير أمرها بتطبيق التعاليم والأحكام الإلهية، ويعمل على تحقيق أهدافه. إن رسول الله صلى الله عليه وآله، كان يعلم أن الأمة الإسلامية، لا يمكن أن تستقيم وتثبت كأمة إسلامية حيّةٌ وعزيزة، ما لم يتولّ زمام أمورها شخص معصوم، ومن هنا، يمكن القول بشكل قاطع: لا يمكن أن يكون الرسول (ص) مع كل اهتمامه ذاك بالنظام العام وببقاء أساس الإسلام قد ترك الأمة الإسلامية الفتية [آنذاك] وذهب من الدنيا، دون أن يعيّن لإدارة شؤونها والأخذ بزمام أمورها خليفة له.

وإضافة إلى ذلك، فقد ثبت لنا فيما سبق أن الإمام يجب أن يُعيّن من قبل الله والرسول، حيث لا يعرف المعصوم أحد سوىٰ الله والرسول. وعلى

هذا، فإن الواجب يحتم على الرسول (ص) أن يعرّف الإمام المعصوم إلى الناس. وإن لم يفعل فإنه لم يبلّغ رسالته النبوية بالتمام. وعن هذا الطريق، نتأكد أن الرسول (ص) قد عيّن خليفته وإمام المسلمين. ولم يعيّن الرسول الأكرم (ص) الخليفة الذي يليه وحسب بل إنه قد عرّف الأئمة الآخرين الذين يأتون من بعده أيضاً. فقد وردت أحاديث كثيرة عن النبيّ (ص) تنص على أن الأئمة إثنا عشر.

روي عن النبيّ الأكرم (ص): «أن الأئمة من بعدي إثنا عشر، كلهم من قريش. أولهم علي وآخرهم المهدي الموعود». وفي بعض الروايات ذكروا بالأسماء فرداً فرداً[1].

الإمام الأول:

لقد صرح الرسول الأكرم (ص) منذ بداية بعثته حتى وفاته، في العديد من المناسبات، بولاية وإمامة علي بن أبي طالب (ع). وفي السنة الأخيرة من عمره الشريف، ذهب إلى حج بيت الله الحرام بمكة. وعند عودته ووصوله إلى «غدير خم» نزلت عليه الآية التالية: ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...** ﴾[2].

فوقف الرسول الأكرم (ص)، وأمر بأن يجتمع المسلمون هناك. فتحلق حوله (ص) أكثر من سبعين ألف شخص. وقد أمر أن يُعد له منبر. فصعد المنبر، ورفع علي بن أبي طالب، كي يراه الناس. فخطب فيهم وقال: «من كنتُ مولاه فعلي مولاه. اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه».

---

(١) غاية المرام للسيد هاشم البحراني، وإثبات الهداة لمحمد بن الحسن الحر العاملي، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي، وكتاب ينابيع المودة للشيخ سليمان، وصحيح أبي داود، ومسند أحمد وسائر كتب الحديث الأخرى.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

فكان عمر أول من بايعه حيث قال: بخ بخ لك يا علي، أصبحت اليوم مولاي ومولىٰ كل مؤمن ومؤمنة. ومن ثم تقدم سائر المسلمين وبايعوا علياً (ع). وبهذا فقد تم هذا الأمر المهم، في ذلك الجو الحار والشمس الحارقة في الحجاز، ونُصب علي خليفة وإماماً بعد الرسول[1].

لقد وقع هذا الحدث المهم في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة عشر للهجرة. ولهذا السبب نحتفل نحن الشيعة كل عام في مثل هذا اليوم التاريخي ونقيم مجالس الفرح تخليداً لهذه الذكرىٰ العظيمة.

ولد الإمام علي (ع) بمكة في الثالث عشر من شهر رجب، قبل الهجرة بثلاثة وعشرين عاماً.

اسم أبيه أبو طالب وأمه فاطمة. وتربىٰ منذ صغره في أحضان الرسول (ص) وكان أول من آمن بالرسول (ص). وقد زوجه رسول الله (ص) من قرة عينه فاطمة (ع) وبذلك أصبح صهره (ص).

لقد كان له (ع) من الكمال والعطاء أكثر ما لا يعد ولا يحصىٰ. ففي الشجاعة والفروسية لم يكن له نظير. وهو المقدم دوماً الذي لا يهاب أحداً في الحرب. وهو العاشق للجهاد في سبيل الإسلام وترويج قيّم الله.

لم يكن ليألو جهداً في تقديم التضحية والفداء في المواقف الصعبة والأحداث الخطيرة. وكان فريداً في العبادة والزهد. وخازناً لعلوم النبوّة، ولا يدانيه أحد في العلم والمعرفة... يكافح الظلم والجور ما استطاع، ويدفع عن المظلومين.. ويُعين ويُحسن إلى المحرومين والمساكين.

لقد كان الإمام علي (ع) يحب الزراعة، ويشتغل في غرس الأشجار

---

(١) البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٠٨. روى حديث الغدير جماعة من أصحاب الرسول (ص) بشكل متواتر وقطعي، وهو موجود في صحاح السنة والشيعة. وقد ورد الحديث المذكور في كتاب غاية المرام بـ ٨٩ طريقاً من قبل العامة و٤٣ طريقاً من قبل الخاصة.

وأحياء الأراضي البور وإحداث القنوات.

عندما توفي رسول الله (ص)، عزم جماعة من المنافقين على أن يخلعوا علياً (ع) عن الخلافة. وخلعوه بالفعل متجاهلين فضائله الذاتية، وضاربين بعرض الجدار كل تلك التوصيات والتعاليم النبوية الواردة بشأنه (ع) بحجة أن علياً لا يزال يافعاً ولا يصلح للخلافة، وأنه قد قتل في الحروب جماعة كثيرة، ولذا فإن الناس يحقدون عليه، ولا يقبلون خلافته.

وظل الإمام علي (ع) في زمن حكومة أبي بكر وعمر وعثمان ـ الذي دام خمساً وعشرين عاماً ـ يشتغل بتعليم وتثقيف الخواص من المؤهلين لذلك. وقد بايعه الناس بعد مقتل عثمان، وحكم المسلمون ما يقارب الأربعة أعوام وتسعة شهور. عاش الإمام علي (ع) ثلاثاً وستين عاماً. وضُرب في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك في مسجد الكوفة على يد ابن ملجم، وتوفي في الليلة الحادية والعشرين من الشهر نفسه، ودفن في النجف الأشرف.

قصة عن علي (ع):

قال علي بن رافع ـ وكان على بيت مال أمير المؤمنين (ع) ـ أخذت منّي ابنته عقد لؤلؤ عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام في أيام الأضحىٰ، فرآه عليها فعرفه، وقال لي: أتخون المسلمين؟ فقصصت عليه، وقلت: قد ضمنته من مالي. فقال: ردّه من يومك، وإياك أن تعود لمثل هذا فتنالك عقوبتي. ثم قال: لو كانت ابنتي أخذت هذا العقد علىٰ غير عارية مضمونة، لكانت أول هاشمية قطعت يدها على سرقة.

فقالت ابنته في ذلك مقالاً، فقال: يا بنت عليّ، لا تذهبن بنفسك عن الحق، أكل نساء المهاجرين تتزين في هذا العيد بمثل هذا[1].

---

(١) مناقب ابن شهراشوب، ج ٢، ص ١٠٨.

قصة أخرىٰ:

نظر علي عليه السلام إلى امرأة علىٰ كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقتل، وترك عليّ صبياناً يتامىٰ، وليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس، فانصرف وبات ليلته قلقاً، فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال: من يحمل وزري عني يوم القيامة؟ فأتىٰ وقرع الباب، فقالت: من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئاً للصبيان، فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب، فدخل وقال: إني أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعللي الصبيان لأخبز أنا، فقالت: أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان، فعلّلهم حتى أفرغ من الخبز، فعمدت إلى الدقيق فعجنته، وعمد عليّ عليه السلام إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقّم الصبيان من اللحم والتمر، فكلّما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بنيّ اجعل علي بن أبي طالب في حلّ مما في أمرك، فلمّا اختمر العجين قالت: يا عبد الله أسجر التنّور، فبادر لسجره، فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيّع الأرامل واليتامىٰ، فرأته امرأة تعرفه، فقالت: ويحك، هذا أمير المؤمنين! فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال: بل حيائي منك يا أمة الله فيما قصّرت في أمرك[1].

* * *

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٥٢.

الإمام الثاني

الإمام الحسن (ع):

لقد نصب الإمام علي بن أبي طالب، بأمر من الله، ولده الحسن إماماً للمسلمين[1]. وقد ولد الحسن عليه السلام في المدينة، في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثالثة للهجرة. أبوه علي وأمه فاطمة بنت رسول الله (ص). كان رسول الله (ص) يحب حسناً وحسيناً حباً جماً، وقد قال بحقهما: الحسن والحسين سيدا أهل الجنة[2].

تولى الإمام الحسن (ع)، خلافة وإمامة المسلمين بعد أبيه سلام الله عليه. إلاّ أنه واجه معارضة شديدة، من قبل معاوية الذي كان والياً على الشام. وقد وصل الأمر إلى الحرب، حيث وقف جيشا الإمام الحسن (ع) ومعاوية في مواجهة بعضهما. وعندما اطلع الإمام الحسن على أوضاع جيشه، ورأىٰ خيانة الكثير من قادته، انصرف عن خوض الحرب، وعقد ـ مضطراً ـ معاهدة صلح مع معاوية.

إن الدفاع الأساسي وراء صلح الإمام الحسن (ع) كان يكمن في سببين:

الأول: بالرغم من الكثرة العددية لجيش الإمام، إلاّ أنهم كانوا

---

(١) إثبات الهداة، ج ٥، ص ١٢١.
(٢) ينابيع المودة ص ٣٧٣.

منقسمين على أنفسهم ومتشرذمين، وكان يوجد بين صفوفهم الكثير من المنافقين ممن كانوا يناصرون معاوية بالسر. حتى أنهم كانوا قد وعدوا معاوية بإلقاء القبض على الإمام وتسليمه إياه، ونتيجة لذلك، رأىٰ الإمام الحسن (ع) أنه لو خاض الحرب بهذا الجيش المنقسم على نفسه والمنافق، فإن الانكسار سيكون أمراً حتمياً، وستؤدي الحرب إلى أضعاف قوة المسلمين.

السبب الثاني: أن معاوية كان يستخدم الحيلة والمكر، ويخدع الناس بتظاهرهُ بمناصرة الدين، وبالدفاع عن حقوق المظلومين، ويقول: إنني لا أهدف سوىٰ إلى ترويج الإسلام، وتطبيق أحكام القرآن. إلاّ أن الإمام الحسن (ع) كان يعلم أن معاوية كاذب في ادعائه، وهو لا يهدف لسوى الاستمرار بالحكم، ولكن أنّى للناس أن يفهموا هذه الحقيقة بسهولة؟ فلهذه الأسباب ولأسباب أخرى، قرر الإمام الحسن (ع) قبول الصلح، كي يعري الوجه القبيح لمعاوية، ويكشف أهدافه ومخططاته المشؤومة للناس، من أجل أن تعرف الأمة، معاوية وجهازه الأموي جيداً. وتتهيأ الأرضية للثورة الجذرية. لقد صالح الإمام معاوية للحفاظ على كيان الإسلام، وقد ضمّن معاهدة الصلح شروطاً، إلاّ أن معاوية لم يعمل بأي منها.

عاش الإمام الحسن (ع) سبعة وأربعين عاماً. وأخيراً دُس له السم بتحريض من معاوية، على يد زوجته «جعدة». وتوفي في الثامن والعشرين من شهر صفر، من السنة الخمسين للهجرة، ودفن في مقبرة البقيع.

قصة عن الإمام الحسن (ع):

روي أن شامياً رأى الإمام الحسن عليه السلام راكباً، فجعل يلعنه، والحسن لا يرد، فلما فرغ، أقبل عليه الحسن (ع)، فسلم عليه وضحك فقال: أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك،

وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كثيراً. فلما سمع الرجل كلامه بكىٰ، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته. يابن رسول الله، لقد كنت أنت وأبوك عندي، قبل أن ألقاك، أسوأ الناس وألدهم. ولكنني أراك الآن أفضل خلق الله، وعند ذاك دخل داره (ع) واستضافه إلى أن غادر المدينة[1].

* * *

(١) مناقب ابن شهراشوب، ج ٤، ص ١٩.

الإمام الثالث

الإمام الحُسَين (ع):

ولد الإمام الحسين (ع) في الثالث من شعبان، من السنة الرابعة للهجرة في المدينة. أبوه علي وأمه فاطمة بنت رسول الله (ص).

نصّب الإمام الحسن (ع) بأمر من الله، أخاه الحسين خليفة وإماماً للمسلمين[1].

عاش الإمام في زمن خلافة معاوية في ظروف صعبة للغاية؛ لأن تعاليم وأحكام الدين، لم تكن تطبق، وقد حل محل أحكام الله ورسوله أهواء معاوية. فقد جند معاوية جهاز حكمه كله، من أجل القضاء على أهل البيت (ع) وشيعتهم. وقد صبر الإمام الحسين (ع) بالرغم من كل تلك الأوضاع المأساوية، إلى أن مات معاوية واستخلفه ولده يزيد. فأمر يزيد والي المدينة أن يأخذ البيعة له من الحسين (ع)، وأن يقتله إذا ما رفض. فأبلغ والي المدينة أمر يزيد إلى الحسين (ع). فاستمهله الإمام الحسين (ع) ليلة كي يتأمل في المسألة. ولكن بما أن إعطاء البيعة ليزيد لم يكن من وجهة نظره (ع). في صالح الإسلام، وكانت حياته الشريفة في خطر، اضطر إلى مغادرة المدينة متوجهاً إلى مكة، ليقيم في جوار حرم الأمن الإلهي، ووصل مكة في الثالث من شهر شعبان. فشاع خبر يزيد ومغادرة الإمام الحسين (ع)،

---

(١) إثبات الهداة، ج ٥، ص ١٦٩.

في المدائن. وكان أهل العراق من المعارضين لحكم معاوية ويزيد، وبالأخص أهل الكوفة، قد بعثوا برسائل كثيرة إلى الإمام الحسين (ع)، ودعوه إلى العراق. فمن جهة فكر الإمام الحسين (ع) أن معاوية ويزيد قد داسوا تعاليم الدين وأحكامه. ولم يتورعوا عن ارتكاب أي ظلم أو عمل غير مشروع، من أجل الحفاظ على سلطانهم ورئاستهم. وإنهم يدعون خلافة الرسول، دون أن يحكموا بالإسلام. ويُخشىٰ أن ينهار كيان الإسلام برمته. وقد جاؤوا يريدون مني الآن أن أصادق على سلطانهم وأؤيد أعمالهم. ومن جهة أخرىٰ، كان يزيد قد بعث جماعة سراً، من أجل أن يغتالوا الإمام الحسين (ع) أو أن يلقوا القبض عليه. فلهذه الأسباب، قرر الإمام الحسين (ع) الخروج من مكة من أجل الحفاظ علىٰ حرمة بيت الله، وبهدف الثورة على ظلم بني أمية، والوقوف بوجه سلطان يزيد الظالم حفاظاً على كيان الإسلام. فتوجه نحو الكوفة مركز الشيعة الذين أوعدوه بالعون والنصرة، على أمل أن يسترد حقه ويحارب بني أمية. فحاصره جيش يزيد في أرض كربلاء، وحال دون وصوله إلى الكوفة. وبعد ذلك جاء أمرٌ من يزيد. أن خذوا البيعة من الحسين ان استسلم، وأتوا به إليّ لأرىٰ ما أقرر بشأنه. وإن أبىٰ ذلك حاربوه. فأبىٰ الإمام الحسين قبول الذل ومساومة حكم يزيد الظالم. وفضل الحرب عليه، ووقف صامداً بجيشه الصغير بوجه جيش يزيد الجرار. وقاتلوا ببسالة وشجاعة منقطعة النظير، وقتلوا جماعة من الأعداء. وأخيراً فاز هو وأهل بيته وأصحابه بوسام الشهادة الرفيع. وقضوا نحبهم في العاشر من محرم الحرام عام واحد وستين للهجرة، ودفنوا في أرض كرب وبلاء.

عاش الإمام الحسين (ع) ثمانية وخمسين عاماً. ونحن ـ الشيعة ـ نعتبر يوم عاشوراء، يوم حزن وعزاء، ونقيم فيه مجالس التعزية تخبيداً لذكرى جهاد وتضحيات الإمام الحسين (ع) من أجل إبقاء روح التضحية والفداء والجهاد ضد الظالمين حيّة ومتوقدة في الأمة. لقد كان هدف الإمام الحسين (ع) الدفاع عن حرمة الدين، ومجاهدة الظلم، ونحن لن نغفل عن هذا

الهدف المقدس أبداً.

لم يستسلم الحسين (ع) للذل والخنوع، وقد علّم المسلمين التضحية والفداء. الحسين قُتل، ولكنه لم يُهزم. وقد أحيا في الإنسان المسلم الصفات السامية والممتازة. وعلّم الناس بالفعل، معاني الإباء والفداء والتضحية ومحاربة الظلم والجور. وقد فضح بني أمية ويزيد الذين كانوا يحكمون باسم خلافة الرسول، وعرّاهم على حقيقتهم، وخط بجهاده ودمه الطاهر على بطلان أعمالهم القبيحة. لقد زلزل الإمام الحسين (ع) أركان سلطان بني أمية، وأفشل مخططاتهم المشؤومة.

إن إقامة مجالس العزاء والبكاء لا يمكنها أن تحقق أهداف الإمام الحسين الكبيرة لوحدها، بل يجب معرفة أهدافه المقدسة، ومن ثم العمل على تحقيقها. .

* * *

الإمام الرابع

عَلي بن الحسَين (ع):

ولد الإمام الرابع في الخامس عشر من شهر جمادىٰ الآخرة سنة ثمانية وثلاثين للهجرة في المدينة. أبوه الإمام الحسين (ع)، وأمه شهربانو، بنت ملك العجم، يزدجرد. نصبه الإمام الحسين بأمر من الله، خليفة وإماماً على المسلمين[1].

لقّب بالسجاد وبزين العابدين، لكثرة سجوده وعبادته لله.

كان حاضراً في واقعة الطف، ولكن بما أنه كان عليلاً، فقد نجا من القتل. وعند عودته من كربلاء، قام بإلقاء خطب في الكوفة والشام، شرح فيها أهداف أبيه المقدسة وحقانيتها، وقص على مسامع الناس حادثة شهداء طريق الدين المأساوية.

بما أن الإمام الرابع (ع) لم يكن يتمتع بحرية في الحركة، ولم يمكنه أن ينشر العلوم والمعارف الإسلامية بين الناس، ويبلغ الأحكام والتعاليم الشرعية، لذا فإنه قد انزوى رغماً عنه. واشتغل بعبادة الباريء تعالىٰ، وكان يعمل كلما سنحت الفرصة، على تعليم وتثقيف البعض. وقد سلك طريقاً آخر من أجل نشر المعارف والعلوم الدينية، أي أنه أخذ يعلّم الناس المعارف والعلوم الدينية من خلال الدعاء. وقد ترك وراءه (ع) آثاراً عظيمة من

---

(١) إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢١٢. الإرشاد المفيد ص ٢٣٨.

الأدعية. إن واحداً من الآثار التي تركها لنا الإمام الرابع (ع)، هو الصحيفة السجادية.

عاش الإمام الرابع (ع)، سبعاً وخمسين عاماً، وتوفي في المدينة، في الخامس والعشرين أو الثامن عشر من شهر محرم الحرام، سنة خمس وتسعين للهجرة، ودفن في مقبرة البقيع.

لقد كان الإمام السجاد (ع)، يحب أن يحضر معه على سفرة الطعام اليتامىٰ والعميان والمعاقين والمساكين، وكثيراً ما كان يطعمهم بيده الشريفة. وقد كان (ع) يطعم ويكسو الكثير من الأسر الفقيرة في المدينة. وعندما كان يجن الليل، وتستسلم الأعين إلى الرقاد، كان (ع) يحمل الطعام على متنه، ويتلثم لئلا يعرفه أحد، ويطرق بيوت الفقراء والمساكين، ويوزع الطعام عليهم. وكثيراً ما كان يحدث، أنهم يقفون عند أبواب بيوتهم وينتظرون الإمام السجاد (ع)، ويبشر بعضهم بعضاً عندمَا كان يأتي (ع). إلاّ أنه لم يكن ليعرفه أحد، ولم يعرفوا من أين يأتيهم طعامهم. وحينما توفي الإمام السجاد (ع)، عرف الفقراء أن لم يكن ذلك الرجل الغريب سوى زين العابدين، فارتفعت أصواتهم بالبكاء والنحيب[1].

* * *

(١) مناقب ابن شهراشوب، ج ٤، ص ١٥٣.

الإمام الخامس

الإمام محمد الباقر (ع):

ولد الإمام محمد الباقر (ع) في الثالث من صفر، سنة سبع وخمسين للهجرة، في المدينة. أبوه علي بن الحسين، وأمه فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبىٰ (ع). نصّبه السجاد (ع) بأمر من الله، خليفة وإماماً على المسلمين[1].

لُقّب بـ «باقر العلوم» لكثرة علمه. كان العلماء الكبار، يذعنون بمكانته العلمية، ويقفون أمامه إجلالاً وإكباراً، ويسألونه عن مشكلاتهم، فيسمعون أجوبة شافية وكافية. لقد توفرت للإمام الباقر (ع)، ظروف لم تتوفر لأي من الأئمة الذين سبقوه. فقد أتيحت له (ع) ـ نتيجة للخلافات الداخلية والصراعات التي حصلت في زمن الخلفاء الذين عاصروه ـ حرية أكثر، فعمل بشكل جاد علىٰ نشر معارف الإسلام وأحكام وتعاليم الشرع، وخلّف وراءه آلافاً من المسائل العلمية والأحاديث.

قال محمد بن المكندر: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّه، فلقيت محمد بن علي (يعني الباقر) وكان رجلاً بديناً، يعمل في بستان له، فقلت في نفسي: شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا، أشهد لأعظنّه، فدنوت منه فسلمت عليه فسلّم علي وقد

(١) إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢٦٣، الإرشاد المفيد ص ٢٤٥.

تصبب عرقاً، فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال؟

* * *

الإمام السادس

الإمام جعفر الصادق (ع):

ولد في السابع عشر من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثمانين للهجرة، في المدينة. أبوه هو الإمام محمد الباقر (ع) وأمه «أم فروة» بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر. نصبه الإمام محمد الباقر (ع) بأمر من الله، إماماً على المسلمين[١].

لقد كان الصراع والنزاع على أشده بين بني أمية وبني العباس، في زمن الإمام الصادق (ع). ونتيجة لذلك، كان الحكم ضعيفاً وهزيلاً في ذلك الوقت. وكان بنو العباس يدافعون عن أهل البيت بهدف معارضة بني أمية. فاستغل الإمام الصادق (ع) هذه الأوضاع، وأخذ يجد في تعليم المعارف الدينية، ونشر الأحكام والمفاهيم الإسلامية بين الناس. وقد ربّى من خلال حلقاته الدراسية، علماء وأساتذة بارزين ونشر بين الناس تعاليم الدين، وقضايا الحلال والحرام. لقد تخرج ما يناهز الأربعة آلاف طالب من مدرسة الإمام الصادق (ع)[٢]. وقد ألفت كتب ثمينة وكنوزاً من الحديث. ولهذا يدعى المذهب الشيعي بالمذهب الجعفري.

عاش الإمام الصادق (ع) خمسة وستين عاماً. وقد توفي في النصف من

---

(١) إثبات الهداة، ج ٥، ص ٣٢٨ ـ إرشاد المفيد ص ٢٥٤.
(٢) إرشاد المفيد، ص ٢٥٤.

رجب، أو في الخامس والعشرين من شوال، سنة مائة وثمان وأربعين للهجرة، في المدينة، ودفن في مقبرة البقيع. تساند (ع) وقال: لو جاءني والله الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله أكّف بها نفسي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني[1].

دخل سفيان الثوري على الصادق (ع) فرآه متغيّر اللون، فسأله عن ذلك فقال: كنتُ نهيت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلتُ فإذا جارية من جواريّ، ممّن تربي بعض ولدي، قد صعدت السلّم والصبي معها. فلما بصرت بي ارتعدت وتحيّرت، وسقط الصبي إلى الأرض فمات. فما تغيّر لوني لموت الصبيّ، وإنما تغيّر لوني لما أدخلت عليها من الرعب.

وكان (ع) قال لها: أنت حرة لوجه الله، لا بأس عليك «مرتين»[2].

* * *

(١) إثبات الهداة، ج ٥، ص ٣٢٨ ـ إرشاد المفيد ص ٢٥٤.
(٢) المناقب لابن شهراشوب، ج ٤، ص ٢٧٤.

الإمام السابع

الإمام موسىٰ بن جعفر (ع):

ولد الإمام السابع في الأبواء الواقعة بين مكة والمدينة، في السابع من شهر صفر، سنة مائة وثمان وعشرين للهجرة.

أبوه الإمام جعفر الصادق، وأمه حميدة.

نصبه الصادق (ع) بأمر من الله، إماماً للمسلمين من بعده. كان يلقب بـ «العبد الصالح» لشدة عبادته وزهده. وكان حليماً جداً، وغير غضوب أمام المشكلات والصعاب، ولهذا كان يدعىٰ بالكاظم.

وعلىٰ الرغم من أنه (ع) كان يعيش في عصر وظروف صعبة للغاية، ولم تكن هناك أجواء مناسبة لنشر الحديث، لكنه مع ذلك، ترك وراءه الكثير من الأحاديث، ودرس على يده الشريفة جماعة كثيرة. عاش خمسة وخمسين عاماً.

أخذ الإمام عام «١٧٩» للهجرة بأمر من هارون الرشيد، سُمّم بسمّ الجور، واستشهد في سجن «السندي بن شاهك» في بغداد، في الخامس والعشرين من رجب، عام مائة وثلاثة وثمانين للهجرة، ودفن في مقابر قريش، وهي موقع مدينة الكاظمية الحالية في بغداد.

روي أن رجلاً في المدينة، كان يؤذي الإمام موسى بن جعفر (ع) ويعلن بالعداوة لعليّ بن أبي طالب (ع). فطلب أحد أصحاب الإمام

موسى (ع) أن يجيزه الإمام بقتل ذلك الرجل. فنهاه الإمام (ع) عن ذلك، وسأل عن مكان ذلك الرجل. فقيل: إنه يزرع أرضاً خارج المدينة، فتوجه الإمام (ع) على جواد، واقترب منه وجواده يدوس على الحقل، ثم سلّم عليه وجلس بقربه مبتسماً وسأله:

ـ كم أنفقت على هذه المزرعة؟

فقال الرجل: مائة أشرفي.

فسأله (ع):

ـ وكم تتوقع أن تربح منها؟

فقال: مائتي أشرفي.

فأعطاه الإمام صرةً فيها ثلاثمائة أشرفي، وقال:

ـ خذ هذا، وحاصل المزرعة لك أيضاً.

فخجل الرجل من نفسه، واعتذر من الإمام (ع) عن سلوكه السابق، وقبّل رأسه. وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

ثم أخذ بعد ذلك يدعو للإمام، ويتحدّث عن مناقبه.

فقال الإمام (ع) لأصحابه: هذا أفضل، أم ما كنتم تريدون من قتل الرجل؟[1].

* * *

(١) كشف الغمّة، ج ٣، ص ١٨.

الإمام الثامن

الإمام علي بن موسى الرضا (ع):

ولد الإمام الرضا (ع) في المدينة، في الحادي عشر من ذي القعدة، سنة مائة وثمان وأربعين للهجرة.

أبوه موسىٰ بن جعفر، وأمه «نجمة».

نصّبه أبوه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بأمر من الله، إماماً على المسلمين[1].

كان الإمام الرضا (ع)، أغزر أهل زمانه علماً ومعرفة. وكان طلاب العلوم يتوافدون عليه (ع)، ويتزودون ويفيدون منه. وترك وراءه أحاديث وروايات كثيرة، في معارف الإسلام وأحكام وقوانين الشرع. وله (ع) حوارات ونقاشات مهمة جداً مع علماء الأديان.

كان يشترك في مجلس البحث، ويرد على جميع الإشكالات، ولا يعجز عن جواب أي سؤال يواجهه. وكان علمه ومعرفته الواسعة، يدهش الحاضرين وينال استحسانهم. وكان محترماً ومبجلاً جداً في أوساط الناس، ويلقّب بـ «عالم آل محمد».

أحضر الإمام الرضا (ع) من قبل المأمون سنة (٢٠٠) للهجرة من

---

(١) إثبات الهداة، ج ٦، ص ٢ ـ إرشاد المفيد ص ٢٨٥.

المدينة إلى «مرو». وحينما وصل الرضا (ع) إلى مرو، اقترح عليه المأمون تولي الخلافة. إلاّ أنه (ع) رفض، وأصرّ عليه فيما بعد كثيراً. أن يقبل ولاية العهد. كان المأمون يهدف من وراء ذلك إلى هدفين:

الأول: أنه كان يريد بدفعه لولاية العهد إلى الإمام الرضا (ع)، أن يحصل على الوجاهة، وأن يكسب السادة العلويين وشيعتهم إلى جانبه. لكي يأمن بذلك جانبهم من المعارضة.

الثاني: كان يريد أن يقبل الإمام الرضا (ع) ولاية العهد، ويتقرب إلى الجهاز الحاكم، ويتدخل في شؤون البلاد، لكي يسقطه بهذه الطريقة في أنظار شيعته ومحبيه.

لم يكن الإمام الرضا (ع) غافلاً عما يهدف إليه المأمون. فقد كان يعلم: أن من لا يتورع حتى عن قتل أخيه من أجل الاحتفاظ بالخلافة، لا يمكن أن يسلّم الخلافة أو أن يعهد بولاية العهد لأحد، عن نية خالصة.

ولهذا فإنه (ع) امتنع عن قبول ولاية العهد أيضاً. إلاّ أنه اضطر لقبولها نتيجة إصرار المأمون الشديد، مشترطاً أن لا يتدخل في شؤون الحكم وعزل ونصب الولاة. وقد أدرك المأمون فيما بعد أنه لم يتمكن من إسقاط وإضعاف مكانة الرضا (ع) في قلوب الناس، بل أخذ يتعمق تعلق الناس واحترامهم له (ع) يوماً بعد يوما. ولذا قرر أن يقتله.

عاش الإمام الرضا (ع) خمسة وخمسين عاماً، وسُمّم فيما بعد على يد المأمون في أواخر شهر صفر، سنة ثلاث ومائتين للهجرة، وتوفي في طوس، ودفن في المكان الذي يدعىٰ الآن بمدينة مشهد.

عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الرضا (ع) في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك، لو عزلت لهؤلاء مائدة. فقاله: مَهْ، إن الرّب تعالىٰ واحد، والدين

واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال[1].

* * *

(1) الوافي، ج ٣، ص ٨٧.

الإمام التاسع

الإمام محمد التقي (ع):

ولد الإمام التاسع في المدينة، في العاشر من شهر رجب أو في التاسع عشر من رمضان، سنة مائة وخمس وتسعين للهجرة.

أبوه الإمام الرضا (ع) وأمه «سبيكة». لقد نصبه الإمام الرضا (ع) بأمر من الله، إماماً على المسلمين[1].

تولى الإمامة بعد أبيه سلام الله عليه. على الرغم من أنه كان لا يزال صغير العمر، ولم يكن أدرك سن البلوغ، إلاّ أن علمه كان من السعة إلى حد يمكنه أن يجيب عن كافة الأسئلة والمشكلات الدينية. وقد كان يجيب عن المسائل الدينية المعقدة بجدارة، عندما كانوا يختبرونه بذلك.

اتضح للناس مدى علمه وفضله بما لا يدع للشك مجالاً. وقد لُقّب بـ «التقي» لشدة زهده وتقواه. ودعي بـ «الجواد» لكثرة جوده وكرمه.

لقد عاش الإمام الجواد (ع) خمسة وعشرين عاماً. وقد أحضره المعتصم من المدينة إلى بغداد، سنة مائتين وعشرين للهجرة وتوفي في بغداد مسموماً، في أواخر شهر ذي القعدة من نفس السنة، ودفن إلى جانب مرقده جده موسىٰ بن جعفر (ع).

* * *

---

(١) إثبات الهداة، ج ٦، ص ١٥٥ ـ إرشاد المفيد ص ٢٩٧.

الإمام العاشر

الإمام علي النقي (ع):

ولد في منطقة تدعىٰ «صريا» في أطراف المدينة، في الخامس عشر من شهر ذي الحجة، أو في الثاني من رجب، عام مائتين واثني عشرة للهجرة.

أبوه الإمام محمد الجواد، وأمه «سمّانة».

نصّب الإمام محمد الجواد بأمر من الله تعالىٰ، ولده الإمام علي النقي إماماً على المسلمين[1]. وكان يناهز عمره الشريف ثمانية أعوام، عندما توفي والده. وقد تولىٰ الإمامة في سن مبكر. لكنه كان يتمتع برصيد كبير من العلوم الإلهية. ولم يكن له نظير من الناحية العلمية. وقد كان حسن أخلاقه وعلمه لجم وزهده الشديد يجذب أفئدة الناس إليه. فخشى المتوكل العباسي. أن يؤدي حب الناس له (ع) إلى أن يجتمعوا حوله، ويشكلوا تهديداً وخطراً على نظام الحكم، ولذا فقد أحضره من المدينة إلى سامراء، عام مائة وثلاثة وأربعين للهجرة، ووضعه تحت المراقبة.

عاش الإمام علي النقي، اثنين وأربعين عاماً، قضىٰ معظمها تحت ضغوط الخلفاء العباسيين، وتوفي في سامراء ودفن فيها، في يوم السابع والعشرين من جمادي الآخرة أو في الثالث من رجب، عام مائتين وأربعة وخمسين للهجرة.

* * *

---

(١) إثبات الهداة ج ٦، ص ٣٠٨. إرشاد المفيد ص ٣٠٨.

الإمام الحادي عشر

الإمام الحسن العسكري (ع):

ولد الإمام الحادي عشر في المدينة، في الثامن أو الرابع من شهر ربيع الثاني، عام مائتين واثنين وثلاثين للهجرة.

أبوه الإمام علي النقي، وأمه «حديث».

نصّب الإمام علي النقي (ع) بأمر من الله، ولده الإمام الحسن العسكري إماماً على المسلمين[1].

كان الإمام الحسن العسكري خاضعاً - كأبيه - إلى المراقبة في مدينة سامراء، وقد قضىٰ مدة من عمره الشريف في السجن. ولم يكن بإمكان الناس أن يلتقوا به بحرية ويستفيدوا من علومه ومعارفه. إلا أنه في الوقت ذاته، قد وصلتنا بعض الأحاديث منه. لا يخفىٰ على أحد أخلاقه الحسنة وفضله وعلومه.

عاش الإمام الحسن العسكري (ع) ثمانية وعشرين عاماً. وتوفي في سامراء، ودفن فيها في الثامن من شهر ربيع الأول، سنة مائتين وستين للهجرة.

* * *

---

(١) إثبات الهداة، ج ٦، ص ٢٦٩ - إرشاد المفيد ص ٣١٥.

الإمام الثاني عشر

الإمام محمد بن الحسن (ع):

ولد الإمام الثاني عشر للشيعة، في سامراء في النصف من شعبان سنة مائتين وخمس وخمسين للهجرة.

من ألقابه: المهدي، والقائم، وصاحب الزمان، وإمام العصر والحجة.

أبوه الإمام الحسن العسكري، وأمه «نرجس».

نصّب الإمام الحسن العسكري (ع) بأمر من الله ووصايا آبائه العظام، ولده محمداً إماماً[1].

رويت أحاديث كثيرة عن الرسول الأكرم (ص) يقول فيها: إن تاسع ولد من ولد الحسين، يشبه اسمه اسمي، وهو المهدي الموعود. وقد أخبر جميع الأئمة بأن المهدي من أهل البيت. وأخبر الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع) بأن المهدي الموعود، هو ابن الإمام الحسن العسكري (ع)، وسيغيب عن الأنظار لمدة طويلة ويظهر حينما يشاء الله، ليملأ الأرض عدلاً وصلاحاً ويحكم الكون كله، وينشر فيه توحيد وعبادة الله. ويجعل من الدين الإسلامي المقدس، ديناً رسمياً للعالمين كافة. لقد رزق الله تعالىٰ ـ وطبقاً

---

(١) إثبات الهداة، ج ٦، ص ٣٥٢. إرشاد المفيد ص ٣٢٧.

لأخبار الرسول (ص) وأئمة أهل البيت (ع)، الإمام الحسن العسكري (ع) ولداً بأسم محمد. وقد رآه جماعة من ثقاة وأصحاب الإمام الحسن وشهدوا بذلك. كان الإمام الحجة (عج) يبلغ من العمر خمسة أعوام، حينما توفي والده (ع).

وقد تولى الإمامة من بعده. ولأن الخلفاء العباسيين كانوا قد سمعوا أشياء عن علائم وآثار المهدي (عج) وكانوا يعلمون أن المهدي الموعود الذي يجاهد الظلم والجور، ويطيح بحكم الظالمين، هو من أولاد الإمام الحسن العسكري (ع)، لذا فإنهم كانوا عازمين على أن يقتلوا أيّ ولد يولد للإمام الحسن العسكري (ع). ليبعدوا بذلك هذا الخطر الجسيم عن أنفسهم.

ولهذا السبب ولأسباب عديدة أخرى، اضطر الإمام الحجة (عج) إلى أن يغيب عن الأنظار ويعيش في الخفاء. إلّا أن علاقة الناس واتصالهم بالإمام لم ينقطع تماماً، بل كان بإمكانهم أن يتصلوا به عن طريق نوابه ووكلائه، ليقضي حوائجهم. وكان نوابه المعروفون أربعة أشخاص: الأول عثمان بن سعيد - الثاني محمد بن عثمان - الثالث الحسين بن روح - الرابع علي بن محمد السمري.

لقد وُليّ هؤلاء الأشخاص الأربعة نيابة الإمام الواحد بعد الآخر. وقد استغرقت الغيبة الصغرى أربعة وسبعين عاماً، ومن ثم انتهت مرحلة الغيبة الصغرى، وانقطع اتصال الناس بالإمام بشكل رسمي، وبدأت الغيبة الكبرىٰ.

يعيش الإمام صاحب الزمان، غائباً عن أنظارنا في الوقت الراهن. فهو يعيش بين ظهرانينا ويشترك في مجالسنا ومحافلنا، لكنه لا يعرّف نفسه. وسيظل هذا الوضع على ما هو عليه، إلى أن تتهيأ الظروف العالمية وتُمهد الأرضية لتأسيس الحكومة الإسلامية العالمية الواحدة، ويكون أكثرية الناس مستعدين لأن يقبلوا حكومة التوحيد. ولا يرون سبيلاً لحل مشاكلهم سوى اتباع الدين وتعاليمه الإلهية. وتحيط بهم المشاكل والصعاب من كل صوب وحدب ويضيقون ذرعاً بالظلم والجور. فعند ذاك، يظهر الإمام صاحب

الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

نحن الشيعة موظفون في زمن الغيبة بأن نكون في انتظار الإمام (عج): وأن نستنبط الأحكام والتعاليم الاجتماعية من القرآن، ونبلّغها إلى الناس. وأن نثبت مزايا الأحكام والقوانين الإلهية للآخرين. أن نلفت أنظار وأفكار الناس للأحكام والبرامج الإلهية. وأن نتصدى للعقائد الباطلة وللخرافات. وأن نمهد ونهيّأ المقدمات لحكومة الإسلام العالمية. وأن نستخرج طرق الحل لمشاكل العالم من القرآن والأحاديث، ونقدّمها للمصلحين في المجتمعات. وأن ننوّر أذهان الناس، ونُعد أنفسنا لاستقبال ظهور الإمام الغائب (عج) وتأسيس حكومة القسط والعدل الإلهي.

عقيدتنا في الأئمة:

١ ـ أنهم معصومون من الذنب والخطأ والسهو.

٢ ـ أنهم يحيطون علماً بجميع الأحكام والتعاليم الإلهية. ويتمتعون بما يكفي لهداية وإرشاد الناس، من علوم ومعارف.

٣ ـ أنهم لا يأتون بأي حكم من عند أنفسهم وهم ليسوا بمشرّعين.

٤ ـ يعملون ويطبقون جميع التعاليم الدينية، ويؤمنون بكل العقائد الصائبة. ويتحلون بكل الأخلاق الحسنة. وهم أفضل بني الإنسان وأمثلة كاملة للدين.

٥ ـ هم بشر وعبدةٌ لله تعالىٰ. وهم كسائر الناس مخلوقون، يمرضون، ويموتون، وليسوا بآلهة أو خالقين للموجودات.

٦ ـ توفي منهم أحد عشر شخصاً. والإمام الثاني عشر، أي الابن الوحيد للإمام الحسن العسكري (ع) حي يرزق في الوقت الراهن.

الشيعة:

إن من يعتقدون بأن علي بن أبي طالب عليه السلام، هو خليفة

للرسول (ص) من بعده بلا منازع، يدعون الشيعة.

ويعتقد الشيعة الإمامية، أن علياً وأبناءه الأحد عشر، أئمة معصومون، ويتبعون سلوكهم وأقوالهم. إن الشيعي الحقيقي هو من يتبع علياً والأئمة الطاهرين (ع)، في أفعاله وأقواله.

قال الإمام محمد الباقر (ع): يا جابر أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول يحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقىٰ الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهّد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء، قال جابر فقلت: يا بن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبّن بك المذاهب، حَسبُ الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالاً، فلو قال إني أحب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فرسول الله خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفَعه حبه إياه شيئاً فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبُ العيال إلى الله تعالىٰ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقربُ إلى الله تعالىٰ إلا بالطاعة، ما مَعنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تُنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع[1].

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وإداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً وعليكم بطول الركوع والسجود فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه

(١) الوافي، المجلد ١، الجزء ٣، ص ٣٨.

وقال يا ويله أطاعوا وعصيتُ وسجدوا وأبيتُ[1] .

وقال الصادق (ع) أيضاً:

إن حواريي عيسىٰ كانوا شيعته، وأن شيعتنا حواريّونا. وما كان حواريُّ عيسىٰ بأطوع له من حواريّنا لنا. وإنما قال عيسىٰ للحواريين من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله. فلا والله ما نصروه من اليهود، ولا قاتلوهم دونه، وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عزّ ذكره رسوله (ص) ينصرونا ويقاتلون دوننا، ويحرقون ويعذبون ويشردون في البلدان، جزاهم الله عنّا خيراً[2] .

عقيدتنا فيما يخص سائر المسلمين:

على الرغم من أننا نختلف مع السنة في مسألة خلافة الرسول (ص)، لكننا نعتبر جميع المسلمين إخوة لنا في الدين. فإلهنا واحد، ونبينا واحد، وديننا واحد، وكتابنا واحد، وقبلتنا واحدة. نعتقد أن عزتهم وشموخهم، عزة وشموخ لنا. ونُعد انتصارهم وظفرهم، انتصاراً وظفراً لنا. كما أن انكسارهم وذلّتهم، انكسار وإذلال لنا.

نشترك معهم في الأفراح والأتراح. ونحن نستلهم موقفنا هذا، من إمامنا ومولانا علي بن أبي طالب (ع). فلو شاء الإمام علياً أن يدافع عن حقه المشروع، ويأخذ الخلافة لفعل، لكنه رجّح المصلحة الإسلامية العليا، والمحافظة على كيان الدين على ذلك، ولم يكتفِ بعدم مواجهة الخلفاء وحسب، بل بادر في الظروف الحساسة عندما كانت الضرورة تتطلب، إلى تقديم العون والمشورة لهم، ولم يألُ جهداً في عمل أي شيء فيه نفع للمسلمين.

---

(١) الوافي، المجلد ٣، الجزء ٣، ص ٦١.
(٢) سفينة البحار، ج ١، ص ٧٣.

نحن نعتقد أنه لا يمكن أن يستعيد العالم الإسلامي، مجده وعظمته، وتحافظ الأمة على حيويتها واقتدارها، وأن تتحرر من الاستعمار، ما لم يبتعد المسلمون عن مواضع الفرقة والتشرذم، وتتظافر جهودهم وطاقاتهم في سبيل عزة وعظمة الإسلام.

* * *



الفصل الرابع

المعاد

إن جميع الأنبياء والشرائع السماوية، متفقة على أن حياة الإنسان لا تنتهي بمجرد موته. بل يوجد بعد هذا العالم، عالم آخر ينال فيه الإنسان جزاء أعماله وأفعاله. يحيا فيه المحسنون حياة السرور والفرح والنعيم. وينال الظالمون والمذنبون جزاء أعمالهم، حياة الضنك والعذاب.

إن أصل المعاد وعالم ما بعد الموت، من ضروريات الأديان السماوية كافة، ومن يعتقد بالأنبياء ويؤمن بهم، لا بد له أن يؤمن بالمعاد أيضاً.

ونذكر لإثبات هذه المسألة دليلين بسيطين:

الأول: يتضح لنا ثبوت المعاد، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار المسائل التالية:

١ ـ لا يوجد أي فعل دون غاية وهدف، ومن يفعل شيئاً ما لا بد له من هدف. وأن الهدف والغاية، هو ما يدفع الفاعل إلى العمل والاجتهاد من أجل تحقيقه.

٢ ـ بالرغم من أنه لا يوجد فعل بلا غاية، إلاّ أن الغايات والأهداف لا تتساوى، بل تختلف من شخص إلى شخص ومن فعل إلى فعل. وكلما كان الفاعل أكثر علماً وحكمة واقتداراً، كانت أهدافه أعلى وأسمى وأقوم. إن

هدف الطفل الصغير في لعبة الساذج، لا يرتقي إلىٰ مستوى هدف المهندس العالم والخبير.

٣ ـ عندما يقوم الناس بعمل ما، فإنهم يهدفون بذلك إلى أن يسدوا نقصاً ما في أنفسهم. فنحن عندما نتناول الطعام ـ مثلاً ـ نفعل ذلك لأننا نشعر بالجوع، ونتناوله لكي نسد هذا النقص في أنفسنا، لكن ذلك ليس صحيحاً بالنسبة لأفعال الله تعالىٰ؛ لأن الله ليس ناقصاً، كي يكمل نفسه بالنتيجة والغاية.

فعلىٰ هذا يقتضي القول: إن نتيجة الفعل لا تعود إليه تعالىٰ، بل أنها تعود على المخلوقات، وهو لا يهدف ـ بذلك ـ أن ينتفع ويكمل ذاته.

ليس من أجل الانتفاع خلقتْ وإنما جوداً علىٰ العبادْ

٤ ـ خلق الله الإنسان في أحسن صورة، وأضفىٰ على خلقته من الظرائف والدقائق ما لا يحصىٰ، بحيث كلما دقق العلماء وتفحصوا فيه توصلوا إلى حقائق مدهشة جديدة. إلى حد أنه يمكن القول: إن الله الحكيم، قد أودع في جسم الإنسان الصغير، نموذجاً لعالم الخلقة الواسع الكبير. وقد خلق من أجله الماء والتراب والهواء والنبات والحيوان والشمس والقمر والنجوم وسائر الأشياء. وأودع ما لا يحصىٰ من الأسرار في أعماق عالم المادة كي يستفيد منها الإنسان. وجهّز الإنسان بطاقة الفكر العجيبة، كي يكتشف أسرار العالم ويستثمر ذخائره الثمينة ويسخّر الكون.

والآن تفكروا هل يمكن ـ مع الأخذ بعين الاعتبار المسائل المذكورة، القول: إن الله قد أوجد الإنسان العجيب والمدهش في خلقته، وأدار عالم المادة بعظمته كي يواصل حياته ويستثمره، من أجل أن يعيش في هذه الدنيا لمدة قصيرة، ثم يموت ويفنىٰ؟

فإذا كان الأمر كذلك، تُرىٰ أليست خلقة الله لغواً وعبثاً؟ إن عقولكم لا تصدق مثل هذا الشيء أبداً، وتنزّه الخالق الحكيم المقتدر عن مثل هكذا عمل عابث.

إن العدم والفناء لا يمكن أن يكون غاية ونتيجة خلقة وحياة الإنسان؛ لأن الوصول إلى الغاية، يزيد في كمال وقيمة الموجود، لا أن ينهي وجوده ويطوي أوراق حياته.

إن عقلنا يقول: بما أن الله تعالىٰ ليس بحاجة إلى خلق الموجودات، وهو لم يخلقهم كي ينتفع من ورائهم، وأنه تعالىٰ لا يصدر منه، فعل اللغو والعبث، لذا فإنه يكون قد خلق الإنسان لهدف أعلىٰ وأسمىٰ، ولا تقتصر حياته على أيام معدودات يحياها في الدنيا، وتطوىٰ صحيفة حياته بعدها. إن عقلنا يقول: يجب أن يكون هناك عالم آخر بعد هذا العالم، ولا بد أن تكون فترة الحياة القصيرة الشاقة، مقدمة لحياة خالدة في الآخرة، وللوصول إلى السعادة والراحة السرمدية هناك.

إن الهدف الإلهي هو أن يرتقي الإنسان في هذه الدنيا ويحصل على الكمالات والملكات الحسنة، كي يحيا في عالم الآخرة الخالد حياة السرور والفرح والنعيم. قال تعالىٰ: ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾[1].

الدليل الثاني: البعض من الناس صالحون ومحسنون. يريدون خير الآخرين، ويمدون يد المعونة إلى أبناء جنسهم، ويرأفون باليتامىٰ، ويحسنون إلى المساكين والقاصرين، وهم حسنوا الأخلاق، لا يكذبون، ولا يتلونون، ولا يظلمون أحداً، ولا يغتصبون أموال الناس، ويصلون ويصومون، ويعملون بواجباتهم ويجتنبون ارتكاب الذنوب وبعض آخر سيئون وطالحون: يظلمون أبناء جنسهم، ويغتصبون حقوق الآخرين، وهم سيئوا الأخلاق وكاذبون وخائنون، ولا يأتون بالواجبات الإلهية، لا يصلون ولا يصومون، ولا يتورعون عن الأفعال القبيحة المحرمة، ومشتغلون ليلاً ونهاراً بالظلم والاعتداء وباتباع شهواتهم.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

إن هاتين الجماعتين موجودتان على الدوام، وهما لا تريان في الدنيا جزاء ما فعلا من إحسان أو إساءة.

كم من الناس قضىٰ حياته كلها، في الظلم والاعتداء، ونهب أموال الآخرين، واتباع الشهوات والمعاصي، وتوفىٰ من الدنيا وهو في عزٍّ ونعيم، ولم ينل جزاء أعماله السيئة؟ وكم من الصالحين والمحسنين، قد عاش حالة الفقر المدقع والعسر ولم ينل ثواب أعماله الحسنة؟.

تُرىٰ ألا يقتضي ذلك أن يوجد هناك بعد هذا العالم، عالمٌ آخر ينال فيه الناس ثواب وجزاء أعمالهم، الحسنة منها والسيئة؟.

وإذا كان عمر الإنسان، ينتهي في هذه الدنيا بالذات ويُختم على صحيفة أعماله وتغلق إلى الأبد، ألا يعني هذا أن خلقة الإنسان عبث، ومنافٍ لعدالة وحكمة الخالق المتعال؟ ترى أيستسيغ العقل أن يستوي الأخيار والمحسنون مع المسيئين والظالمين، ولا ينالوا جزاء أعمالهم؟.

وهل يمكن لنا أن ننسب مثل هذا الفعل العابث إلى الله تعالىٰ شأنه؟ قال تعالىٰ: ﴿ **أم نجعل المتقين كالفجّار** ﴾[1].

لو لم يكن هناك يوم للقيامة والحساب، لأصبحت بعثة الأنبياء وأوامر ونواهي الله تعالىٰ عبثاً ولغواً.

وإذا لم يكن في الأمر، حساب وكتاب، وثواب وعقاب، فلِمَ يتبع الناس تعاليم الله والأنبياء؟.

* * *

---

(١) سورة ص: الآية ٢٨.

الموت

الموت يعني افتراق الروح وانفصالها عن الجسم. والإسلام يقول لنا: أن الإنسان لا يفنىٰ بالموت، بل إنه ينتقل من هذا العالم إلى عالم آخر، ومن هذه الحياة إلى حياة أخرىٰ. قال الرسول الأكرم (ص): «ما خلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء، وإنما تنقلون من دار إلى دار»[1].

إن انفصال الروح عن البدن ـ من وجهة نظر الإسلام ـ لا يتم بشكل متساوٍ بالنسبة لجميع الناس. عن بكر بن محمد الأزدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **﴿إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾**[2] إلى قوله **﴿تعملون﴾** قال: تعدّ السنين، ثم تعد الشهور، ثم تعد الأيام، ثم تعد الساعات، ثم يعدّ النفس، فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون[3].

* * *

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٤٩.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٤٥.

البرزخ

إن أصل حياة ما بعد الموت والمعاد، يثبته العقل، إلاّ أن العقل لا يستطيع أن يكون هادياً لنا بخصوص كيفية تلك الحياة، بل نحن مضطرون لأن نستفيد من آيات القرآن وأقوال الأنبياء والأئمة (ع).

يستفاد من الآيات الشريفة والأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع) أنه يوجد هناك عالم آخر ـ قبل قيام الساعة والنشور ـ يدعىٰ بعالم البرزخ، يتوسط الدنيا والآخرة. وعندما يموت الإنسان يردُ عالم البرزخ ابتداءً، ويحيا هناك حياة خاصة.

وفي بداية تلك الحياة الروحانية التي تبدأ من القبر، يتعرض إلى الحساب والسؤال بخصوص عقائده وأفعاله بشكل إجمالي.

فإن كانت عقائده صحيحة وأفعاله حسنة، يُفتح عليه باب من أبواب الجنة ويستقر في سبيل الجنة. ويتمتع بنعم الجنة، في انتظار حلول القيامة والحصول على النعيم الخالد.

وإن كان سيّىء الإيمان والأفعال، فسيستقر في سبيل جهنم، ويُفتح عليه باب من أبواب جهنم. ويبقىٰ في العذاب إلى يوم القيامة، ويمضي حياة مرّة ومؤلمة. ويعيش في حيرة وخوف واضطراب من حلول القيامة وعذاب جهنم الأليم[1].

---

(١) قال الله في كتابه الحكيم: ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ سورة المؤمنون: =

قال النبي (ص): إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده ليس أقل منه.

وقال علي بن الحسين (ع): إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران[1].

* * *

= الآية ١٠٠ ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ سورة البقرة: الآية ١٥٤. ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(١) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٠٢ إلى ٢٨٢.

القيامة والبعث

إن القرآن الكريم والأحاديث الواردة عن النبي (ص) والأئمة (ع)، تصف القيامة على النحو التالي: إذا برق البصر وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر، ونُسفت الجبال، وسجّرت البحار، وبُدّلت الأرض غير الأرض، عندئذٍ يُبعثُ من في القبور، ويعرضون على الحساب. إن جميع أعمال وسكنات البشر مسجلة عند الله تعالىٰ ومحفوظة في اللوح، ولا يغادر أو يغفل منها أدنىٰ شيء. فعندما يُرفع الحجاب عن أعين الناس يوم الحشر، فإنهم يرون أعمالهم وأفعالهم على هيئة صور مجسمة أمامهم، وعند ذاك يبدأ الحساب الشديد الدقيق. فيُرسل الكفار والمذنبون الذين لا مجال للعفو عنهم إلى الجحيم والعذاب. ويدخل المؤمنون المحسنون الجنان والنعيم. أما المذنبون الذين يمكن العفو عنهم، فلأنهم يكونون قد نالوا جزاء أعمالهم السيئة في عالم البرزخ، فلذا تنالهم الرحمة والغفران بواسطة شفاعة الأنبياء والأئمة الطاهرين (ع)، وبالنتيجة يتغلب نور التوحيد على ظلام السيئات ويزيلها، فيدخلون الجنة.

لا يستغرق حساب المؤمنين في القيامة وقتاً كثيراً، وإنما ينتهي بسهولة ويسر وسرعة، ويدخلون الجنة. أما الكفار والكثير من المذنبين، فإنَ حسابهم يكون عسيراً وشديداً جداً، ويحاسبون ويسألون عن أدنىٰ فعل من أفعالهم، ويجب أن يقضوا وقتاً طويلاً في المحشر يتحملون خلاله الأذىٰ الجمة[1].

* * *

---

(١) راجع كتاب بحار الأنوار، ج ٧، من ص ٥٤ إلى ٢٢٧.

الجنة

الجنة هي المكان الذي ينزل فيه الأخيار والمحسنون. ﴿ ويُطاف عليهم بصحافٍ من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين ﴾[1].

إن نِعَم الجنة أفضل وأحسن من جميع نِعَم الدنيا، وهو ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت وليس هناك أي نوع من الآلام والصعاب.

إن من يرد الجنة، سيحيا حياةً سرمدية خالدة إلى الأبد. وإن للجنة درجات ومراتب مختلفة، يسكن فيها كل في مكانه المناسب، طبقاً لفضائله وأعماله وحسناته وكماله الذاتي.

* * *

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٧١.

جهنم

إن جهنم هي مكان الكفرة والفجار. وفيها أنواع العذاب والعقاب. وإن عذاب جهنم هو من الصعوبة إلى حد لا يمكن وصفه. إذ لا تكتفي نار جهنم بإحراق الجسم وحسب، بل إنها تحرق روح وقلب الإنسان أيضاً، وتخرج من أعماق ذاته وتلتهم كل وجوده[١].

إن أهل جهنم على قسمين:

القسم الأول: هم الكفار والمحرومون من نور الإيمان وعبادة الله بشكل مطلق. وهؤلاء خالدون في جهنم أبداً، وليس هناك سبيل لنجاتهم منها.

القسم الثاني: هم المؤمنون بالله الذين ارتكبوا المعاصي بسبب ضعف في إيمانهم، وبذلك استحقوا عذاب جهنم. وهؤلاء سيبقون في جهنم بشكل مؤقت. ولكن في النتيجة، سيتغلب نور التوحيد علىٰ حلكة الذنب، وينجون من نار جهنم ويدخلون الجنة، عن طريق العفو الإلهي أو بشفاعة الأنبياء (ع).

إن في جهنم درجات مختلفة من العذاب. وكلّ يُلقىٰ في مكان معين، ويعذّب بنوع من العذاب طبقاً لذنوبه ومعاصيه[٢].

---

(١) بحار الأنوار، ج ٨، من ص ١٧١ إلى ٣٢٢.
(٢) بحار الأنوار، ج ٨، من ص ٢٢٢ إلى ٣٧٤.

الشفاعة

لقد وردت مسألة الشفاعة في القرآن الكريم، وفي كثير من الروايات عن النبي الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع). إلى حد لا يمكن معه إنكار أصل ثبوت الشفاعة. ويستفاد من مجموع الروايات الواردة: أن الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع) يشفعون لبعض المذنبين ويقولون: اللّهم إنا نطلب إليك أن تعفو وتتجاوز عن ذنوب ومعاصي هذا الشخص، وإن كان مذنباً ومستحقاً لعذابك، بعفوك وكرمك، وبجاهنا لديك، فيستجيب الله لهم طلبهم، ويشمله برحمته وعفوه.

فمع الأخذ بنظر الاعتبار الآيات والروايات الواردة بهذا الخصوص، لا يمكن إنكار أصل ثبوت الشفاعة، إلا أنه ينبغي عدم إغفال مسألتين:

١ ـ إن الشفعاء لا يشفعون لأحد دون أن يسمح لهم الله تعالىٰ بذلك.

٢ ـ إن وقت الشفاعة بعد القيامة وحساب الأعمال.

وبما أنه يُبث في سجل الأعمال هناك، ويجب أن يتضح ويتحدد مصير الشخص.

فلهذا يطلب الشفيع ـ هناك ـ العفو عن المذنب المستحق لجهنم، وبذلك يدخله إلى الجنة. إلاّ أنه لا توجد في عالم البرزخ شفاعة ما، ولا بد للشخص المذنب أن يرىٰ العذاب والعقاب طبقاً لأعماله، وإن كان يحتمل أن يخفف عن عذابه هناك أيضاً، بواسطة وصية من الرسول (ص) والأئمة الأطهار (ع)، إلاّ أن ذلك ليس بشفاعة.

٣ ـ إن الشفعاء أنفسهم قالوا: اجتهدوا لكي تردوا المحشر على هيئة إنسان، لكي نتمكن من الشفاعة لكم.

وعلى هذا، فإذا وصلت الذنوب والخطايا، إلى حد تغيير ذات الإنسان، وإيراده المحشر على هيئة حيوان، فلا يبقىٰ عندئذٍ مجال للشفاعة له. إن الشفاعة تستلزم الأهلية والقابلية.

٤ ـ قال الشفعاء فيما يخص بعض المعاصي كترك الصلاة: إن شفاعتنا لا تنال هؤلاء.

٥ ـ مع الأخذ بنظر الاعتبار النكات أعلاه، يجب أن لا يغترّ الإنسان بالشفاعة ويرتكب المعاصي. لأن من يرتكب المعاصي بأمل الشفاعة، هو كمن يسُمّ نفسه ويعرض حياته إلى التهلكة بأمل الطبيب والدواء.

* * *

التوبة

يستفاد من آيات القرآن والأحاديث الواردة عن المعصومين (ع)[1].

وعلى هذا، فإن باب التوبة والعودة مفتوح لكافة المذنبين، ويجب أن لا ييأس أحد من روح ورحمة الله. ولكن حذار أن يتصور كل من جاء بكلمة «أستغفر الله» على لسانه وضغط نفسه وسكب قطرة من الدموع، أنه قد تاب ونال العفو والصفح. لأن للتوبة النصوح شروطاً، وقد أشار الإمام علي بن أبي طالب (ع) إلى بعضها إذ قال ما مضمونه: إن للتوبة ستة شروط:

الأول: الندم الحقيقي على ارتكاب الذنوب والخطايا السابقة.

الثاني: العزم على عدم العودة إلى ارتكاب الذنب.

الثالث: إرجاع الحق إلى أهله.

الرابع: قضاء الواجبات المتروكة.

الخامس: إذابة لحم البدن الذي جاء عن طريق الأكل الحرام وذلك بواسطة الحزن والندم على ارتكاب الذنب.

السادس: إذا كان قد ذاق حلاوة المعصية، عليه أن يذوق مرارة وأتعاب العبادة كذلك. وعند ذاك يستغفر الله[2].

---

(١) الوافي، المجلد ١، الجزء ٣، ص ١٨٣.

(٢) نهج البلاغة، طبعة مصر، ج ٢، ص ٢٥٣.



الفصل الخامس

الأخلاق

الأخلاق تعنىٰ بالصفات الحسنة والسيئة.

إن الصفات الحسنة أو الجيدة، تكون سبباً لكمال وفضيلة النفس الإنسانية وهي من قبيل: العدالة، والتواضع، والثقة بالله، والصبر، والتفاؤل، وطلب الخير للآخرين، والصدق، والأمانة، والرضا بقضاء الله، والشكر لله، وحسن الخُلُق، والقناعة، والسَخاء، والشجاعة، والغيرة على الدين، والغيرة على الناموس، والإنصاف، وصلة الرحم، والإحسان إلى الوالدين، وحسن الجوار، وحسن التعامل مع الناس، ومحاسبة النفس، وحب الله تعالىٰ.

إن على كل مسلم أن يعرف الصفات والأخلاق الحسنة، ويجتهد في أن يتمتع بها.

وإن الأخلاق السيئة، هي تلك الصفات التي تكون سبباً لانحطاط النفس الإنسانية، وهي من قبيل: التكبر والأنانية، وتمجيد الذات، والظلم، وفقدان الثقة بالله، وفقدان الصبر، وسوء الظن، وطلب السوء للآخرين، والكذب، وعدم الرضا بقضاء الله وقدره، والحسد، وإنكار الجميل، والافتراء، والحقد، والغضب، وسوء الخلق، والحرص، والطمع، والبخل، والرياء، والنفاق، والخيانة والإسراف، وفقدان الغيرة على الدين والناموس،

وعدم الإنصاف، وترك صلة الرحم، والإساءة إلى الوالدين، وإيذاء الجار، وسوء الخُلُق في التعامل مع الناس، وحب الجاه، ومتابعة عيوب الآخرين والتملق، والتوقع الزائد عن الحد.

إن على كل مسلم أن يعرف الأخلاق القبيحة، ويجاهد في أن يبعدها عن نفسه. فإذا ما أراد المرء أن يكون سعيداً، عليه أن يراقب نفسه ويحاسبها، وأن يتحلىٰ بالأخلاق الإسلامية السامية، ويُطهّر نفسه من الصفات القبيحة ويزينها بالصفات الجيدة.

إن التعاليم الأخلاقية، هي إحدى الأركان المهمة في الإسلام، وإن الإسلام قد أعار أهمية بالغة للمسائل الأخلاقية.

وقد عدَّ النبيّ الأكرم (ص)، مجاهدة النفس، جهاداً أكبر[١].

وقال رسول الله (ص): إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق[٢].

وبما أن جميع أفعال الإنسان، تنبع من صفاته النفسيّة، لذا يجب ابتداءً، العمل على إصلاح النفس.

* * *

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، ص ١٢٢.
(٢) المحجة البيضاء، ج ٢، ص ٣١٢.

الفصل السادس

فروع الدين

لقد عيّن الله تعالىٰ لنا مجموعة من الواجبات والتكاليف العملية، فإذا عملنا بها، ضمّنا خير وصلاح دنيانا وآخرتنا.

وهذه التكاليف هي ما يطلق عليه: فروع الدين. وهي كثيرة، إلا أن أهمها ثمانية: «الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

الصلاة:

الصلوات الواجبة تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: الصلوات اليومية.

الثاني: صلاة الآيات.

الثالث: صلاة الميت.

الرابع: صلاة الطواف.

الخامس: الصلاة التي تجب على الإنسان، نتيجة النذور والعهد والقسم.

السادس: الصلوات الواجبة المتبقية في ذمة الوالد المتوفىٰ، الذي لم

يتمكن من الإتيان بها، فيجب على الابن الأكبر أن يقضيها.

الصلوات اليومية:

الصلاة عمود وحبل الله بينه وبين عبده.

قال الرسول الأكرم (ص): لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته[1].

يجب على كل مسلم أن يصلي في اليوم خمس مرات: الصبح ركعتان، والظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات.

أوقات الصلاة:

وقت صلاة الصبح: من طلوع الشفق إلى طلوع الشمس.

وقت صلاة الظهر والعصر: من الظهر إلى غروب الشمس الذي ينطبق عليه الغروب شرعاً.

وقت صلاة المغرب والعشاء: من المغرب إلى منتصف الليل شرعاً، أي ما يقرب الحادية عشرة والربع ليلاً.

الوضوء:

يجب على المصلي أن يتوضأ قبل الصلاة، على النحو التالي:

١ ـ أن ينوي أتوضأ قربة لله تعالىٰ.

٢ ـ أن يغسل وجهه من منبت شعر رأسه نزولاً إلى نهاية الذقن.

٣ ـ أن يغسل يده: يده اليمنىٰ من المرفق حتىٰ أطراف الأصابع نزولاً.

---

(١) الوافي، المجلد ٢، الجزء ٥، ص ١٣.

٤ ـ أن يغسل يده اليسرى من المرفق وحتى أطراف الأصابع نزولاً.

٥ ـ أن يمسح بيده اليمنى وهي رطبة، على مقدمة رأسه نزولاً.

٦ ـ أن يمسح بيده اليمنىٰ وهي رطبة، على ظاهر القدم اليمنى من أطراف الأصابع إلى قبتها.

٧ ـ أن يمسح بيده اليسرىٰ وهي رطبة، على ظاهر القدم اليسرىٰ من أطراف الأصابع إلى قبتها.

* * *

الآذان

يستحب الإتيان بالآذان قبل الصلاة. وهو على النحو التالي:

الله أكبر ـ أربع مرات

أشهد أن لا إله إلاّ الله ـ مرتان

أشهد أن محمداً رسول الله ـ مرتان[1]

حيَّ على الصلاة ـ مرتان

حيَّ على الفلاح ـ مرتان

حيَّ على خير العمل ـ مرتان

الله أكبر ـ مرتان

لا إله إلاّ الله ـ مرتان.

* * *

(١) كتب مراجع التقليد العظام: أن أشهد أن علياً ولي الله ليس جزءاً من الآذان والإقامة، إلاّ أنه من المستحسن أن يؤتىٰ بها بعد «أشهد أن محمداً رسول الله» بقصد التيمن والتبرك ـ «توضيح المسائل، المسألة ٩١٩».

الإقامة

من المستحب قراءة الإقامة بعد الإتيان بالآذان، وهي على النحو الآتي:

الله أكبر ـ مرتان

أشهد أن لا إله إلاّ الله ـ مرتان

أشهد أن محمداً رسول الله ـ مرتان

حيَّ على الصلاة ـ مرتان

حيَّ على الفلاح ـ مرتان

حيَّ على خير العمل ـ مرتان

قد قامت الصلاة ـ مرتان

الله أكبر ـ مرتان

لا إله إلا الله ـ مرة واحدة.

* * *

واجبات الصلاة

يجب في الصلاة الأشياء التالية:

١ ـ **النيّة**: بعد أن نقف باتجاه القبلة، ننوي أن نصلي ركعتين ـ مثلاً ـ قربة إلى الله تعالىٰ.

٢ ـ **تكبيرة الإحرام**: نرفع أيدينا بعد النيّة، إلى شحمة أذننا ونقول: الله أكبر. ومن ثم ننزل أيدينا.

٣ ـ **القراءة**: بعد الإتيان بتكبيرة الإحرام، نشرع في قراءة الحمد على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمدُ لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد، وإياك نستعين، إهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾.

وبعد إتمام سورة الحمد، نقرأ سورة أخرى من القرآن، كسورة التوحيد ـ مثلاً ـ على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ﴾.

تذكرة:

١ ـ يجب قراءة الحمد وسورة، في الركعتين الأولى والثانية في جميع الصلوات.

٢ ـ يجب على الرجال أن يجهروا في قراءة الحمد والسورة، في صلوات الصبح والمغرب والعشاء.

٣ ـ رفع الأيدي عند تكبيرة الإحرام، ليس واجباً بل مستحب.

٤ ـ يجب على المصلي أن يهوي إلى الركوع، بعد فراغه من قراءة الحمد والسورة، أي أن ينحني بحيث تصل يداه إلى ركبتيه، وعند ذاك يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، أو أن يقول: سبحان الله ـ ثلاث مرات. وبعد الفراغ من ذلك، يجب أن يستقيم واقفاً. ويستحب أن يقول: سمع الله لمن حمده.

٥ ـ السجود: وبعد الركوع، نهوي إلى السجود. أي نضع جبهتنا على الأرض أو أي نبات ـ سوى المأكولات منها والملبوسات والمعادن ـ ونستقر على أيدينا وإبهامي قدمينا، ونقرأ: سبحان ربي الأعلىٰ وبحمده، أو سبحان الله، ثلاث مرات. وبعد ذلك نرفع رأسنا من السجود ونجلس قليلاً، ومن ثم نعود إلى السجود ثانية ونفعل ما فعلناه في السجدة الأولى. وعند ذاك نرفع رأسنا من السجود ونجلس لبرهة، ومن ثم ننهض للإتيان بالركعة الثانية. ويستحب أن نقول أثناء النهوض بحول الله وقوته أقوم وأقعد. وعندما نستقيم واقفين نقرأ ما قرأناه في الركعة الأولىٰ.

٦ ـ القنوت: في الركعة الثانية من الصلوات، نرفع أيدينا إلى مستوى وجهنا، بعد أن نفرغ من قراءة الحمد والسورة، ونقرأ دعاءً ما، فمثلاً نقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». وبعد ذلك ننزل أيدينا ونهوي إلىٰ الركوع.

والقنوت ليس واجباً، إلاّ أن فيه ثواباً وفضيلة.

٧ ـ التشهّد: في الركعة الثانية من جميع الصلوات، يجب بعد رفع الرأس من السجدة الثانية، الإتيان بالتشهد على النحو التالي: «الحمد لله، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللَّهم صلّ على محمد وآل محمد».

٨ ـ السلام: نسلّم في صلاة الصبح بعد الانتهاء من التشهد، على النحو الآتي:

السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته.

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تذكرة:

في صلاة المغرب، يجب أن لا نأتي بعد التشهد الأول بالسلام، بل ننهض ونتم الركعة الثالثة، ومن ثم نأتي بالتشهد والسلام معاً. وكذلك في صلوات الظهر والعصر والعشاء. لا نأتي بالسلام بعد التشهد الأول، بل ننهض ونأتي بالركعة الثالثة والرابعة، وبعد ذلك نجلس لنقرأ التشهد والسلام.

٩ ـ التسبيحات الأربع: في الركعة الثالثة من صلاة المغرب، وفي الثالثة والرابعة من صلوات الظهر والعصر والعشاء، فنقرأ بدلاً من الحمد والسورة: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر» أو أن نأتي بالحمد دون السورة.

تذكرة:

١ ـ يجب أن يكون بدن المصل طاهراً. وأن يكون لباسه طاهراً ومباحاً، وغير مصنوع من الحيوانات الميتة أو التي لحمها حرام.

٢ ـ يجب أن يكون المصلي طاهراً من حدث الجنابة والحيض والنفاس.

* * *

أركان الصلاة

إن للصلاة خمس أركان هي: النية، تكبيرة الإحرام، القيام المتصل بالركوع. أي الوقوف الذي ينزل منه إلى الركوع، الركوع، السجود. وتبطل الصلاة في زيادة أو نقصان، أي واحد منها، سواء كان ذلك عن عمد أو سهو.

مبطلات الصلاة:

الأفعال التالية تؤدي إلى إبطال الصلاة:

١ ـ بطلان الوضوء سواء عن عمد أو سهو.
٢ ـ البكاء من أجل الدنيا عن عمد.
٣ ـ الضحك الذي يتسبب في خروج الصوت، عمداً.
٤ ـ الأكل والشرب أثناء الصلاة.
٥ ـ زيادة أو نقصان أحد الأركان، سواء عن عمد أو سهو.
٦ ـ قول: «آمين» بعد قراءة الحمد.
٧ ـ إعطاء الظهر إلى القبلة، سهواً أو عمداً.
٨ ـ الكلام.

٩ ـ القيام بعمل يُخَل بصورة الصلاة .
١٠ ـ التكتف .

* * *

صلاة المسافر

يجب على المسافر أن يقتصر في صلواته الرباعية إلى ركعتين، حسب الشروط التالية:

١ ـ أن ينوي قطع مسافة ثمانية فراسخ أو أربعة ذهاباً وإياباً.

٢ ـ أن لا يكون كثير السفر. أي أن لا يكون كالسائق والملاح اللذين يشتغلان بالسفر.

٣ ـ أن لا يكون تاجراً متجولاً في تجارته.

٤ ـ أن لا يكون سفره سفر معصية. كالسفر من أجل السرقة أو القتل. وكسفر الزوجة من دون إجازة الزوج، وسفر الولد مع نهي الوالدين.

٥ ـ أن لا ينوي الابتعاد عن وطنه ثمانية فراسخ أو الإقامة عشرة أيام في مكان ما.

تذكرة:

١ ـ يجب على المسافر الذي ينوي البقاء في مكانٍ ما لعشرة أيام أو أكثر أن يتم صلاته ما دام موجوداً فيه.

ويجب على المسافر الذي يبقىٰ متردداً في مكانٍ معين ثلاثين يوماً، أن يتم صلاته بعد اليوم الثلاثين.

٢ ـ يجب أن لا يقصر الشخص الذي ينوي السفر في صلاته ويكسر

صيامه ما دام لم يقطع حدّ الترخص عن الوطن أو محل الإقامة. طالما كان المسافر يسمع آذان المدينة ويرىٰ سور محل إقامته، لا ينطبق عليه عنوان المسافر شرعاً، ولا يخرج عن حد الترخيص.

* * *

صلاة الآيات

يجب على كل مسلم عند كسوف الشمس وخسوف القمر، والزلزلة وكل آية مخوّفة عند غالب الناس، أن يأتي بصلاة الآيات، حسب الترتيب الآتي:

١ ـ بعد إسباغ الوضوء، نقف باتجاه القبلة وننوي: أن نصلي صلاة الآيات، ركعتين قربة إلى الله تعالىٰ.

٢ ـ بعد حصول النية، نرفع أيدينا إلى شحمة أذنينا ونقول: الله أكبر.

٣ ـ نقرأ الحمد وسورة، ومن ثم ننزل إلى الركوع ونأتي بالذكر المطلوب في الركوع.

٤ ـ نرفع رأسنا من الركوع ونقف مستقيمين. ونقرأ الحمد وسورة، ثم نعود إلى الركوع. ونظل نفعل هذا إلى أن ننتهي من قراءة الحمد والسورة خمس مرات مع خمسة ركوعات.

٥ ـ بعد الانتهاء من الركعة الخامسة، ننزل إلى السجود، ونأتي بسجدتين كاللتين نأتي بهما في الصلوات اليومية.

٦ ـ ننهض إلى الركعة الثانية، ونفعل مثلما فعلنا في الركعة الأولى، ومن ثم نأتي بسجدتين بعد الركعة الخامسة.

٧ ـ وبعد السجدة الأخيرة، نأتي بالتشهد والسلام.

تذكرة:

إن وقت صلات الآيات التي تقام نتيجة كسوف الشمس وخسوف القمر، هو من ابتداء الكسوف أو الخسوف، حتى انتهائه. إلا أن الإتيان بالصلوات الأخرى، مجزٍ متىٰ ما جيء بها.

* * *

الصوم

إن الصوم أحد الواجبات المهمة في الإسلام.

قال نبينا الأكرم (ص): الصوم جنّة من النار[1].

وقال الله تعالىٰ: «الصوم لي وأنا أجزي به»[2].

إن في هذه العبادة الكبيرة، من الفوائد ما لا يُعد، ومنها: أنها تكون من ناحية صحيحة، سبباً لإراحة الجهاز الهاضم، وتساعد على سلامة صحة الإنسان. ومن وجهة نظر أخلاقية، هي نوع من التمرين على الصبر والمقاومة للصعاب والمشكلات. وهي تذكر وتُشعر الأغنياء بأحوال وأوضاع الجياع والمساكين.

ورد عن الإمام الصادق (ع)[3] جواباً على سؤال حوال علّة الصيام قوله: ليجد الغني مضض الجوع فيحنو على الفقير.

يجب على كل مسلم أن يصوم شهر رمضان، أي أن يجتنب القيام بالأفعال التي توجب بطلان الصوم، من طلوع الشفق الأبيض صباحاً إلى الغروب.

---

(١) الوافي، المجلد ٢، جزء ٦، ص ٥.

(٢) الوافي، المجلد ٢، جزء ٦، ص ٥.

(٣) الوافي، المجلد ٢، جزء ٦، ص ٦.

والأفعال الموجبة لبطلان الصوم هي:

١ ـ تناول الأكل والشرب. ٢ ـ إيصال الغبار والدخان الغليظ إلى الحلق. ٣ ـ التقيّء. ٤ ـ الجماع. ٥ ـ إدخال الرأس في الماء. ٦ ـ الافتراء على الله ورسوله. ٧ ـ الاستمناء. ٨ ـ البقاء على الجنابة والحيض والنفاس.

تذكرة:

في حال وقوع المفطرات المذكورة عن عمد، يُحكم ببطلان الصوم. إلاّ أنها لو وقعت، عن غفلةٍ أو سهو، لا يبطل الصوم. اللهم إلاّ البقاء على الجنابة والحيض والنفاس الذي يوجب بطلان الصوم سواء عن عمد أو غير عمد.

الأشخاص المعذورون عن الصيام:

١ ـ المريض الذي يوجب له الصوم ضرراً.
٢ ـ المسافر الذي يتصف بالشروط المذكورة في الصلاة.
٣ ـ المرأة التي ترى دم الحيض أو النفاس.

تذكرة:

يجب على هؤلاء أن يفطروا: ويقضوا فيما بعد عند زوال أعذارهم.

٤ ـ المرأة ـ الحامل ـ القريبة الولادة التي يضر الصوم بها أو بجنينها.

٥ ـ المرضع التي يضرّ صومُها بطفلها.

تذكرة:

يجب على هاتين المجموعتين، القضاء، والتصدق عن كل يوم لم يصمه بمقدار «٧٥٠» غراماً من الشعير، بعد زوال العذر.

٦ ـ الطاعنين في السن الذين يُشكل عليهم الصيام.

تذكرة:

١ ـ يجب على هؤلاء القضاء إن استطاعوا بعد شهر رمضان، أما إذا كان ذلك أيضاً مشكلاً بالنسبة لهم، فلا يجب عليهم القضاء، لكن يجب عليهم التصدق عن كل يوم إفطار، بمقدار «٧٥٠» غراماً من الشعير.

٢ ـ إن من يفطر في شهر رمضان من دون عذر شرعي، يجب عليه أن يقضي فيما بعد، ويصوم عن كل يوم أفطر فيه ستين يوماً أو يطعم ستين مسكيناً عن كل يوم.

* * *

الزكاة

الزكاة من الواجبات الضرورية في الإسلام.

قال الصادق (ع): من منع قيراطاً من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم.

وعن الإمام محمد الباقر (ع) أنه قال[1]: «إن الله عزّ وجل قرن الزكاة بالصلاة، فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلم يقم الصلاة»[2].

وعن الرضا (ع) قال: «لو أخرج الناس زكاة أموالهم ما احتاج أحد»[3].

يجب الزكاة في تسعة أشياء، وهي: القمح، الشعير، التمر، الزبيب، البقر، الغنم، الجمال، الذهب والفضة

لقد عيّن الإسلام لكل من هذه الأموال حداً، فإذا ما وصلت إليه وجبت زكاتها، وإلاّ فلا زكاة عليها. ويسمى هذا الحد نصاباً.

نصاب القمح والشعير والتمر والزبيب:

إن نصاب هذه الأشياء الأربعة، هو ٢٨٨ منّاً تبريزياً، وإن قلّ عن ذلك

---

(١) الوافي، المجلد ٢، جزء ٦، ص ٥.
(٢) الوافي، المجلد ٢، جزء ٦، ص ٥.
(٣) الوافي، المجلد ٦، ص ٦.

فلا زكاة عليه. يمكن عند دفع الزكاة، استثناء ما تناثر من الحبوب على الأرض، وكل المخارج المصروفة على الزراعة، وتزكية الباقي.

مقدار الزكاة:

لو كان سقي الزرع بواسطة مياه الأمطار أو الجداول أو الأنهار، يجب إخراج العشر منه. وإذا كان بواسطة الآبار وماكنات السقي، يجب إخراج نصف العشر.

نصاب الغنم:

أنصبة الغنم خمسة:

الأول: أربعون رأساً. وزكاتها شاة واحدة.

الثاني: مائة وواحد وعشرين رأساً. وزكاتها شاتان.

الثالث: ثلاثمائة رأس. وزكاتها ثلاثة شياه.

الرابع: ثلاثمائة رأس وواحد. وزكاتها أربعة شياه.

الخامس: أربعمائة فما فوق، تُعد كل مائة على حدة ويستخرج من كل مائة شاة واحدة.

تذكرة:

إنّ من يمتلك الأغنام لأحد عشر شهراً، يجب عليه أن يزكيها في الشهر الثاني عشر. وتجب الزكاة على الأغنام في حال تناولها العلف من البراري طوال السنة. وإن تناولت علفها طيلة السنة أو بعضاً منها علفاً محصوداً أو مزروعاً، فليس عليها زكاة.

نُصب الأبقار:

في الأبقار نصابان:

الأول: ثلاثون رأساً، وزكاتها عجلٌ واحد داخلٌ في عامه الثاني.

الثاني: أربعون رأساً، وزكاتها عجلاً أنثى داخلة في عامها الثالث.

وإن تجاوز عددها الأربعون، يجب حسابها بأحد النصابين، الذي ينطبق منهما عليها أكثر، وإخراج زكاتها. أو أن يتم حسابُ كل ثلاثين على حدة، أو كل أربعين على حدة، أو بكلا النصابين كأن يُحسب مرتين ثلاثين وأن تحسب سبعين مرةً على ثلاثين، ومرةً على أربعين. وتحسب ثمانين بقرة على أربعين مرّتان[1].

تذكرة:

تجب زكاة البقرة في حال رعيها من علف البرّ طول السنة.

نصاب الذهب:

في الذهب نصابان:

الأول: عشرون مثقالاً شرعياً «١٨ حبة».

عندما يبلغ الذهب هذا النصاب، يجب إخراج زكاته بنسبة واحد من أربعين منه.

النصاب الثاني: إذا زاد عن النصاب الأول بمقدار أربعة مثاقيل، يجب إخراج واحد من أربعين من المجموع. ولكن إذا كان المقدار الزائد أقل من أربعة مثاقيل، يزكىٰ طبقاً للنصاب الأول، وليس على الزائد زكاة. وكلما زاد عن ذلك، إن بلغ أربعة مثاقيل زكي مجموعة، وإن قلّ عن أربعة مثاقيل،

---

(١) لم نذكر نصاب الجمال لكوننا أقل ابتلاءً به.

زُكي طبقاً للنصاب السابق، وليس على المقدار الزائد زكاة.

نصاب الفضة:

للفضة نصابان:

النصاب الأول: ١٠٥ مثاقيل «٢٤ حبة».

إن بلغت الفضة هذا النصاب كانت زكاتها واحداً من أربعين. وإن قلّ عن ذلك فلا زكاة عليها.

النصاب الثاني: إن زادت عن «١٠٥» مثاقيل وبلغ المقدار الزائد عليها واحداً وعشرين مثقالاً، وجب زكاة مجموعها. وإن قلّ المقدار الزائد عن ذلك، فلا زكاة عليه، ويجب تزكية الـ «١٠٥» مثاقيل فقط.

وهكذا كلّما زاد، إن بلغ المقدار الزائد فيه واحداً وعشرين مثقالاً وجب زكاة مجموعة، وإن قلّ عن ذلك زكي طبقاً للنصاب السابق ولا زكاة في المقدار الزائد عليه.

تذكرة:

١ ـ يجب الزكاة في الذهب والفضة في حال كونهما مسكوكين أو مضىٰ عليهما عند المالك أحد عشر شهراً.

٢ ـ يجب تزكية الذهب والفضة في كل عام ما داما لم يخرجا عن حد النصاب، وإن كانا قد زكيا في العام السابق.

٣ ـ يبدو أن الإسلام يهدف من ذلك أن لا يدخّر الذهب والفضة ويحفظ، وإنما يصرف من أجل تطور الاقتصاد وتقدم الأمور الإنتاجية.

مصارف الزكاة:

تصرف الزكاة في الموارد التالية:

١ ـ الفقير، أي الذي لا يملك هو وعائلته قوت سنته.

٢ ـ المسكين، أي الذي يكون وضعه المالي أسوأ من الفقير.

٣ ـ في الأمور الخيرية والأعمال التي تعود بالنفع على عامة المسلمين مثل: بناء المساجد، والمدارس، والحمامات، والجسور، والمستشفيات، والمستوصفات، والعيادات والطرق.

٤ ـ من كان على سفر ونفذت نقوده في الطريق، يعطى بمقدار ما يوصله إلى وطنه.

٥ ـ الخاسر في تجارته ومن لا يستطيع تسديد ما عليه من ديون.

٦ ـ في سبيل تحرير العبيد.

٧ ـ على المؤلفة قلوبهم، وهم الكفار الذين يراد استمالتهم إلى الإسلام بواسطة الإحسان إليهم.

٨ ـ المأمور من قبل حاكم الشرع بجباية الزكاة.

تذكرة:

لو أن الناس أعطوا زكاة أموالهم، لاستطاع حاكم الشرع أن يكافح الفقر والبطالة وأن يجدَّ في بناء وإعمار المدن والقرى وإقامة المشاريع والمؤسسات الخيريّة.

* * *

الخمس

إحدى الفرائض الواجبة على المسلمين في الحقوق المالية في الإسلام هي الخمس. ويجب على المسلم أن يدفع خمس ماله في سبعة موارد:

١ ـ الربح من التكسب. فمن ربح عن طريق التجارة، أو الزراعة، أو الصناعة، أو اشتغل عاملاً، أو موظفاً، أو أي عمل آخر، فلا خمس على ما صرفه من أمواله خلال السنة، على المأكل والملبس، وأثاث البيت، وشراء الدار، والزواج، والضيافة، والسفر. ولكن يجب دفع خمس ما فضل من أمواله بعد السنة.

٢ ـ استثمار المعادن. كالذهب والفضة والنفط، والحديد والنحاس والملح والفحم الحجري والكبريت وما شابه.

٣ ـ العثور على كنز.

٤ ـ غنائم الحرب.

٥ ـ الجواهر التي يحصل عليها عن طريق الغوص في البحر.

٦ ـ لو اشترى يهودي أو نصراني أرضاً ما من مسلم، يجب أن يعطي أما خمس الأرض وأما خمس قيمتها.

٧ ـ المال المخلوط بالحرام. إن لم يُعلم المقدار الحرام منه ولم يُعرف مالكه، وجب إعطاء خمس المجموع لكي يحلّ الباقي.

تذكرة:

١ ـ يجب على من عليه خمس أن يدفعه إلى المجتهد العادل أو إلى وكيله، كي يصرفه في سبيل ترويج ونشر الإسلام وتأمين مصارف السادة الفقراء.

٢ ـ إن الخمس والزكاة مصدران مهمان جداً في الميزانية المالية الإسلامية. فلو أنهما وصلا إلى يد الحاكم الشرعي بشكل سليم ودقيق وأصبحا في متناول يده، لتمكن من إدارة الشؤون الاجتماعية للمسلمين، ولكافح الفقر والبطالة والأمّية. وساعد الفقراء والمساكين وأقام من المشاريع الخيرية التي تعود بالنفع للمجتمع من قبيل: المستشفيات والمدارس والمساجد والحمامات والجسور بما يسد حاجة الناس.

* * *

الحج

يجب على كل مسلم مقتدر مالياً وبدنياً، أن يحج بيت الله الحرام مرةً واحدة في عمره، ويشترك في ذلك التجمع الكبير الذي يأتيه المسلمون من كل صوب. قال الصادق عليه السلام: «من مات ولم يحج حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تحجف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً»[1]. يعتبر الحج واحداً من العبادات العظيمة في الإسلام، وهو يحتوي علىٰ فوائد مهمة جداً؛ فيستطيع المسلم أن يعزز بواسطة أدائه مراسم الحج ـ قوة إيمانه، وارتباطه بالخالق تعالىٰ ـ وأن يتعلم في ذلك المحضر السامي للتربية الإسلامية، الخضوع لله، والتواضع والمساواة والأخوة، وإنكار الذات بشكل عملي.

ويشترك مسلموا الدول المختلفة في محفل واحد، ويتعرفون أخلاق وعادات وتقاليد بعضهم. ويطّلعون على أوضاع وأحوال الدول الإسلامية، ويحيطون علماً بالمشاكل والأخطار الجدية التي تهدد العالم الإسلامي. ويتساءلون عن البرامج الاقتصادية والسياسية والثقافية لبعضهم البعض. ويتحاورون فيما بينهم بشأن المسائل العامة في العالم الإسلامي. وتتعزز روح الاتحاد والتلاحم والمحبة بينهم.

---

(١) الوافي، المجلد ٢، الجزء ٨، ص ٤٨.

تذكرة:

يجب الحج على المستطيع مادياً. أي على الذي لا يكون عاجزاً فقيراً إذا ما أخرج من أمواله ما يكفي لمصارف الذهاب إلى الحج.

* * *

الجهاد

يُعد الجهاد فرضاً مهماً جداً من فرائض الإسلام.

ويجب على المسلمين أن يكافحوا ويجاهدوا من أجل ترويج عبادة الله وتطبيق أحكامه، والوقوف بوجه الكفر والظلم، ومحاربة أعداء الإسلام وأنصار المادية واللاّ دينية. قال الله في كتابه الحكيم: ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوص** ﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾[3]

وقال أيضاً: ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم** ﴾[4].

وقال أيضاً: ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾[5].

وقال الإمام علي (ع): «الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة

---

(١) سورة الصف ـ الآية ٤.
(٢) سورة التوبة ـ الآية ٣٦.
(٣) سورة البقرة ـ الآية ١٩٣.
(٤) سورة التوبة ـ الآية ١٢.
(٥) سورة الأنفال ـ الآية ٦٠.

أوليائه فمن رغب ألبسه الله ثوب الذل»[1].

لقد أوجب الإسلام الجهاد والدفاع عن استقلال الوطن الإسلامي على كافة المسلمين. والإسلام يعتبر المسلمين كافة جنوداً والوطن الإسلامي الكبير معسكراً لهم. وينبغي أن يكون الجيش الإسلامي الكبير والمقتدر، مسلحاً ومستعداً في كل حين، ليقف بوجه قوىٰ الكفر والعدوان صفاً واحداً، ويدخل في قلوبهم الخوف والرهبة، لئلا يفكروا أو يحدثوا أنفسهم بإمكانية الاعتداء على الوطن الإسلامي. فلو أن جيش الكفر غزىٰ قسماً من الوطن الإسلامي المترامي، وجب على المسلمين كافة الدفاع عن استقلالهم وطرد الأجنبي من الأرض الإسلامية وإيقافه عند حده، وذلك من خلال التضامن والتعاضد الجماعي.

فلطالما اعتبر المسلمون الجهاد واجباً دينياً مقدساً، ووقفوا بوجه الأعداء صفاً واحداً متلاحمين ومتعاضدين، أرعبوا وأرهبوا بعزتهم وقوتهم الأعداء.

ولكن عندما تتشرذَم قُوَى الإسلام بدلاً من الوقوف صفاً واحداً بوجه الأعداء، وينسحب الاقتتال والتنازع إلى داخل البلاد الإسلامية، يفقد المسلمون عزتهم ومنعتهم، ويسقطون تحت أيدي الأجانب، ويضطرون إلى اللجوء للأجنبي ليحفظ استقلالهم، ويتوسلون بهذا وذاك، ويقعون في كل يوم في شركٍ جديد.

* * *

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج ١١ ص ١١.

الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن واحداً من الواجبات المهمة في الإسلام هو الأمر بالمعروف يجب على كل مسلم أن يجد في سبيل نشر الإسلام وتبليغ أحكامه، ويُعرف الناس بالواجبات الدينية والأفعال الحسنة. وإن رأىٰ شخصاً لا يعمل بواجبه، عليه أن يرغّبه ويشجعه على أدائه. وهذا ما يدعىٰ بالأمر بالمعروف.

والنهي عن المنكر هو الآخر واحد من الواجبات العظيمة في الإسلام ويجب على كل مسلم أن يكافح ويجاهد الفساد والظلم والجور، ويحول دون ارتكاب الأفعال القبيحة والمحرّمة، وإذا ما رأىٰ شخصاً ما يعمل خلافاً للأحكام والتعاليم الإلهية، وجب عليه أن ينبهه إلى سوء عمله، ويبذل ما وسعه من جهد من أجل المنع من ارتكابه الفعل القبيح. وهذا ما يدعىٰ بالنهي عن المنكر.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعدّان من أكبر الواجبات الإسلامية. وإن عمل بهذين الواجبين، حفظت وطبقت الأحكام والتعاليم الدينية، فالإسلام يعتبر جميع المسلمين مسؤولين عن تطبيق التعاليم الدينية. ويجب عليهم الدفاع عن الأحكام والتعاليم، وبذل الجهود من أجل الحفاظ عليها وتطبيقها.

ويجب على كل مسلم أن تكون أفعاله حسنة، ويدعو الآخرين إلى مثلها، كما ويجب عليه أن يجتنب الأفعال القبيحة والمحرمة، ويحول دون ارتكاب الآخرين لها.

إن البرنامج المذكور، يعدّ واحداً من التعاليم الإسلامية الرائعة التي جاء بها القرآن الكريم. إذ أن القرآن يعد أداء هذا الواجب والمسؤولية الكبيرة رمزاً لعزة المسلمين. فقد جاء في القرآن الكريم: **﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾**[1].

وجاء في موضع آخر: **﴿ ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾**[2].

وقال الإمام الرضا (ع):

«لتأمُرن بالمعروف، ولتنهُن عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[3].

وقال رسول الله (ص):

«إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليأذنوا بوقاع من الله»[4].

وقال (ص) في موضع آخر:

«لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرّ والتقوىٰ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[5].

وقال الإمام الحسن العسكري (ع):

«لتأمرن بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو ليعمنكم عذاب الله.. من رأىٰ منكم منكراً فلينكر بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١١٠.
(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٠٤.
(٣) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٣٩٤.
(٤) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٣٩٤.
(٥) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٣٩٨.

يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره[1].

يقع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراحل عدة:

المرحلة الأولى: يجب إثبات سوء أو حسن العمل للشخص بالطيب واللين والطلب إليه بالقيام بالفعل الحسن أو ترك السيىء منه وذلك من خلال تقديم النصيحة إليه.

المرحلة الثانية: إن لم يجدِ الطيب واللين والنصيحة شيئاً، وجب النهي بالتشديد والتعنيف.

المرحلة الثالثة: في حال عدم جدوى التشديد والتعنيف إن تمكن الناهي عن المنكر من الحؤول دون ارتكابه، وجب عليه أن يفعل بأية وسيلة استطاع.

المرحلة الرابعة: إن لم يجدِ النصح والموعظة نفعاً، ولم يكن بالإمكان استخدام التشديد والتعنيف للحؤول دون ارتكاب المحرّم، وجب على المرء أن يبدي انزعاجه، وغضبه مع نفسه بحيث تظهر علائم ذلك على صفحة وجهه لكي يفهم الشخص المذنب أنه مبغوض ومرفوض من قبل الناس.

* * *

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٠٧.

المعاملات المحرمة

١ ـ المتاجرة بالعين النجسة مثل: البول والغائط والدم، والميتة.

٢ ـ المتاجرة بالمال المغصوب.

٣ ـ الإتجار بالأدوات والآلات الخاصة بالأعمال المحرمة، مثل: آلات القمار، وأدوات اللهو واللعب والموسيقىٰ.

٤ ـ العمل الذي يدخل فيه الربا.

٥ ـ بيع وشراء الخمور وكل ما هو مسكر.

٦ ـ بيع وشراء الأشياء التي لا تعدّ أموالاً في نظر الإسلام، مثل: الحيوانات المفترسة.

٧ ـ بيع الأشياء المغشوشة، أي السلعة المخلوطة بأشياء أخرى، مثل الدهن الحيواني المخلوط بالشحم أو بالدهن النباتي، دون علم المشتري.

٨ ـ بيع العنب والزبيب والتمر وما شابه إلى صانع الخمور.

* * *

النجاسات

يعتبر الإسلام عدداً من الأشياء نجساً، ويأمر المسلمين بالاجتناب عنها وهي:

١، ٢ ـ البول والغائط من الحيوان ذي النفس السائلة المحرمة لحمها.
٣ ـ المني من الحيوان ذي النفس السائلة.
٤ ـ الميتة من الحيوان ذي النفس السائلة.
٥ ـ الدم من الحيوان ذي النفس السائلة.
٦ ـ الكلب غير البحري.
٧ ـ الخنزير غير البحري.
٨ ـ الكافر، أي الذي ينكر الله أو الرسول.
٩، ١٠ ـ الخمور بكافة أنواعها، من شراب وعرق وبيرة... الخ.

* * *

بعض من المطهرات

١ ـ الماء. كل ما تلوث بالنجاسة يمكن تطهيره بالماء.

٢ ـ الأرض. إن كانت الأرض نظيفة وجافة، فإنها تُطهّر القدم وما تحت الحذاء والعصي، وعجلات السيارات والعربات والدراجات، بشرط أن تزول منها عين النجاسة أثناء السير.

٣ ـ الشمس: تطهر الشمس الأرض والدور والجدران والنوافذ والأشجار، وما إلى ذلك. بشرط زوال عين النجاسة وجفاف رطوبة النجاسة بواسطة شعاع الشمس.

٤ ـ زوال عين النجاسة. حينما تزول عين النجاسة من الحيوانات تصبح طاهرة ولا تحتاج إلى غمرها بالماء.

٥ ـ الاستحالة ـ لو استحالت العين النجسة إلى شيء آخر طاهر كالخشب يحترق ويتحول إلى رماد أو الكلب الذي يتحول إلى ملح في المملحة، فإنها تصبح طاهرة.

* * *

الأغسال الواجبة

غسل الجنابة، وغسل الحيض وغسل النفاس وغسل الاستحاضة وغسل الميت، وغسل مس الميت.

الجنابة تحصل من طريقين: الأول الجماع، والثاني خروج المني.

كيفية الغسل:

يجب في الغسل عدة أعمال:

١ ـ النيّة ـ يجب نيّة القربة إلى الله في الغسل وتشخيص نوعه.

٢ ـ يجب بعد الاتيان بالنية، غسل الرأس والرقبة تماماً بحيث لا يبقىٰ منهما شيء جاف.

٣ ـ بعد غسل الرأس والرقبة، يجب غسل الطرف الأيمن من الجسم تماماً.

٤ ـ وبعد الانتهاء من الطرف الأيمن، يجب غسل الطرف الأيسر مثله أيضاً.

تذكرة:

١ ـ يحرم على الجنب عدة أشياء:

الأول: ملامسة شيء من جسمه خط القرآن أو اسم الله ورسوله

والإمام.

الثاني: الوقوف في المساجد وحرم الأئمة.

الثالث: وضع شيء في المسجد.

الرابع: قراءة سور السجدة.

الخامس: دخول المسجد الحرام.

٢ ـ يجب على الجنب أن يغتسل من أجل أداء الصلاة والصوم.

وكذلك المرأة التي ترى دم الحيض أو النفاس، يجب عليها الاغتسال لأداء الصلاة والصوم.

كيفية التيمم:

يجب في التيمم خمسة أشياء:

١ ـ النية.

٢ ـ ضرب باطن الكفين بالأرض معاً.

٣ ـ مسح الجبهة والجبين بهما معاً مستوعباً لهما من قصاص الشعر إلى طرف الأنف.

٤ ـ مسح تمام ظاهر الكف اليمنىٰ من الزند إلى أطراف الأصابع بباطن الكف اليسرىٰ.

٥ ـ مسح تمام ظاهر الكف اليسرى بباطن الكف اليمنىٰ.

تذكرة:

١ ـ عندما يكون استعمال الماء مضراً للإنسان، أو يفتقر إليه، أو عندما يكون وقت الصلاة ضيقاً، يجب التيمم للصلاة.

٢ ـ يصح التيمم بالتراب والرمل والحجر والطين اليابس.

٣ ـ لو أريد التيمم بدلاً عن الغسل، وجب بعد مسح الجبهة، الضرب بباطن الكفين على الأرض مرة أخرىٰ والمسح على ظاهر الكفين[1] .

* * *

(١) لما كان مبنىٰ هذا الكتاب على الاختصار، لذا ذكرت المسائل المتعلقة بفروع الدين بشكل مختصر. فمن أراد الاستزادة عليه بمراجعة الرسائل العملية.

بعض الأعمال المحرمة

الظلم، الكذب، الغيبة، الافتراء، غصب مال الغير، متابعة عيوب الآخرين، المقامرة، أكل الربا، إعطاء الربا، الشهادة على الربا، كتابة وصل الربا، الزنا، اللواط، النظر إلى الأجنبية، القذف بالزنا، الغش، كتمان الشهادة، شهادة الزور، إخلاف الوعد، الفرار من الزحف، تعاطي الخمرة، أكل لحم الخنزير، أكل الميتة، أكل بيض الشاة، شرب الدم، أكل الأشياء النجسة، ترويج الفساد والأفعال المشينة، قتل النفس المحترمة، إيذاء الوالدين، الحلف كذباً، الغش في الميزان، إعانة الظالم، الخيانة، السعاية عند الظالم، تضليل الناس، البدعة في الدين، إهانة المسلم، اليأس من رحمة الله، السباب، التكبّر، الشماتة، الرياء، الخداع، إيذاء الجار، إيذاء الناس، الارتشاء، الاستمناء، السرقة، الحكم بخلاف أحكام الله، تزيين الرجال بالذهب كالتختم به ووضعه في ساعة اليد، استخدام أواني الذهب والفضة.

* * *

بعض الواجبات

الصلاة، الصوم، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الجهاد، الزكاة، الخمس، الحج، إعانة المظلوم، أداء الشهادة، الدفاع عن حياض الدين، حفظ النفس المحترمة، جواب السلام، جواب الكتاب، إطاعة الوالدين، تعلم أحكام الدين، صلة الرحم، الوفاء بالعهد، الوفاء بالنذر.

* * *

التقليد

لقد أوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلى الرسول الأكرم (ص) بجميع الأحكام والقوانين الضرورية لسعادتنا الدنيوية والأخروية. وقام الرسول (ص) بإبلاغها إلينا، وأودعها بالخصوص عند الأئمة الأطهار (ع). وبذل نواب الرسول (ص) ما بوسعهم من أجل بسط وتوسيع هذه الأحكام وإبلاغها إلى الناس، وضبطت على هيئة أحاديث وروايات في كتب الحديث.

ولما كنا لا نتمكن من الاتصال بإمام العصر (عج) في هذا الزمن بشكل مباشر لكي نأخذ منه عليه السلام تكاليفنا وواجباتنا الشرعية، لذا فإننا مضطرون إلى أن نرجع للأحاديث الواردة عن الرسول والأئمة الأطهار من أهل البيت (ع)، لنستنبط منها تكاليفنا.

إلاّ أنّ فهم الروايات والآيات، وتشخيص الصحيح من الأحاديث وغير الصحيح والجمع بين الروايات، أمرٌ شاق وليس بإمكان أي كان القيام به. ولكن هناك من تخصص في هذا المجال، وقضىٰ أعواماً مديدة من عمره في البحث والتحقيق في مجالات استنباط الأحكام الضرورية المختلفة. وجدّ واجتهد ليلاً مع نهار في طلب العلم، وأخضع الأخبار والأحاديث إلى التحقيق والتدقيق إلى أن تمكن من استنباط الأحكام والتعاليم السماوية، فمثل هذا الشخص يقال له مجتهد وفقيه. ونحن يجب علينا الرجوع إلى المجتهد الفقيه، من أجل تشخيص واجباتنا؛ لأنه من أهل الخبرة والاختصاص في هذا المجال. لأن القاعدة التي يسير عليها العقلاء هي

الرجوع إلى المختص والخبير في كل عمل.

وقد أرجعنا الأئمة (ع) في بعض الأحيان إلى الفقيه. وبالطبع يجب الرجوع في التقليد إلى الأعلم فالأعلم من بين المجتهدين العدول والعمل بفتواه.

إن أكثر المجتهدين متفقون في الرأي حول أكثر المسائل، ولا يختلفون في شيء إلاّ ما ندر. لكنهم يختلفون في طريقة استنباط الأحكام في بعض الموارد، ولذا فمن الممكن أن يختلفوا في الفتوىٰ. ونرى من الضروري التذكير بهذه النكتة وهي أنه ليس لله سبحانه وتعالىٰ سوى حكم واحد في كل مورد، وهو لا يتغيّر باختلاف الفتوىٰ.

ولا يدعي المجتهدون: أن حكم الله تعالىٰ يتبع آراءهم ويختلف باختلاف فتاواهم. وقد يتبادر إلى الذهن: ما هو منشأ اختلاف الفتوىٰ؟ ولماذا يختلف الفقهاء في بعض المسائل؟.

والجواب هو أن منشأ اختلاف الفتوى يمكن أن يكون واحداً من عدة احتمالات:

الأول: قد يكون أحد المجتهدين متردداً في استنباط وفهم الحكم الصحيح، ولا يستطيع أن يفتي بالجزم، ولذا فإنه يراعي جانب الاحتياط في الفتوىٰ، لكي يبقى الحكم الإلهي مصاناً من الخطأ.

الثاني: قد يكون الاختلاف ناشئاً من اختلاف المجتهدين في فهمهم للرواية التي يستندون إليها في الفتوىٰ.

فواحدٌ مثلاً يقول: إن المراد من هذه الرواية كذا، وآخر يرىٰ أن المقصود منها شيء آخر غير هذا ولذا يفتي كل طبقاً لما يفهمه منها.

الثالث: يحصل أن توجد في كتب الحديث عدة روايات متضاربة حول بعض المسائل، وبالطبع يجب على الفقيه أن يرجح واحدة منها على الأخريات ويفتي طبقاً لها.

وهنا يمكن أن يختلف المجتهدون في الرأي. كأن يقول واحدٌ منهم: أن الرواية الكذائية مقدمة على أختها للسببِ الفلاني. وآخر يقول إن تلك الرواية مرجحة على هذه نظراً لكذا وكذا. وكل يفتي طبقاً للرواية التي يرىٰ صوابها.

وبالطبع إن مثل هذه الاختلافات الجزئية ليس فيها ضرر، وهي موجودة وليست غريبة عن أهل الخبرة والاختصاص فمثلاً لا تجد مهندَسينِ أو خبيرين لا يختلفان في الرأي قط.

ونستنتج مما مر ما يلي:

١ ـ التقليد ليس أمراً غريباً وجديداً، بل إن كل شخص يكون مضطراً إلى أن يرجع في المسائل الخارجة عن مجال تخصصه، إلى أهل الخبرة فيها. فمثلما يرجع إلى المهندس في مسائل البناء، وإلى الطبيب عند المرض، وإلى أهل الخبرة في تقييم أسعار السلع، كذلك يجب الرجوع إلى مراجع التقليد لمعرفة الأحكام الإلهية والعمل بها.

٢ ـ لا يفتي مراجع التقليد طبقاً لأهوائهم وشهواتهم النفسانية. بل إنهم يستندون في الفتيا في جميع المسائل، إلى الآيات القرآنية. والأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع).

٣ ـ المجتهدون متفقون في كليات الأحكام الإسلامية وفي معظم المسائل الجزئية.

٤ ـ وإن كانوا يختلفون في الرأي في بعض الموارد الجزئية، فلا يعني هذا أنهم يريدون الاختلاف، بل إنهم يعملون جميعاً على استنباط الحكم الإلهي الحقيقي الذي هو ليس سوى حكم واحد، ليقدموه إلى مقلديهم. إلا أن وجهات نظرهم تختلف عند استنباط وفهم الحكم الحقيقي، وفي هذه الحالة لا سبيل أمامهم سوىٰ أن يصرحوا ويكتبوا ما فهموه. وفي الوقت ذاته لا يعدو الحكم الحقيقي أكثر من حكم واحد، وليس أمام المقلدين سبيل

سوى العمل برأي الأعلم من بينهم. وعند ذاك تكون ذممهم بريئة عند الله تعالىٰ.

٥ ـ وكما يوجد بين جميع الخبراء والمتخصصين في الفنون المختلفة اختلاف في الرأي، ولا يعيره الناس أهمية كبيرة، ويرون ذلك أمراً طبيعياً، لا يضر بأمورهم الاجتماعية، فكذلك المجتهدون لا ينبغي أن يعد اختلافهم في الرأي في بعض المسائل الجزئية، أمراً غير عادي.

٦ ـ يجب تقليد المجتهد الأعلم والأمهر من بين المجتهدين في استنباط الأحكام الإلهية. ويشترط في مرجع التقليد أن يكون عالماً مجتهداً عادلاً ورعاً في دين الله.

* * *

الفهرس



